قضايا إسلامية معاصرة

محنة الأقليات المسلمة في العالم

للأستاذ

محمد عبد الله السمان

تصدرها
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية
بالأزهر الشريف

قضايا إسلامية معاصرة

محنة الأقليات المسلمة في العالم

للأستاذ
محمد عبد الله السمان

تصدرها
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية
بالأزهر الشريف

الإهداء

- إلى الأقليات المسلمة الممتحنة في ديارها ..
- الثابتة على إيمانها .. والمعتزة بعقيدتها ..
- الرافضة بإصرار لكل عدوان على دينها وكيانها ..
- برغم قلة إمكاناتها .. وموقف الأمة المسلمة السلبى من محنتها ..

وما النَّصْرُ إلا مِنْ عِندِ الله ..

مقدمـــــة

إن محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر .. حقيقة واقعة لا سبيل إلى تجاهلها ـ فضلا عن الجهل بها ـ وفي حالة تجاهلها نكون مثل النعام الذي يواجه الحقائق بدفن رؤوسه في الرمال .. وفي حالة الجهل بها تكون المصيبة أعظم ، فلا نكون ـ كمسلمين ـ غير جديرين بالحياة .

وأقول : محنة الأقليات المسلمة .

ولا أقول : قضية الأقليات المسلمة .

لماذا ؟؟

لأن هناك فرقاً بين لفظي محنة وقضية .

فالقضية تعنى أمراً قائماً متحركاً ، يعيش في حياة أناس أو على الأقل في وجداناتهم وأحاسيسهم .. ولكن المحنة ـ وإن كانت هي ـ كذلك ـ أمراً قائماً ـ إلا أنه لا يشترط أن يكون هذا الأمر متحركاً ، يمتزج بأحاسيس الناس ، ويجد طريقه إلى المشاركة الوجدانية .

وقد لا يكون هذا الحكم على إطلاقه ، بالنسبة لمحنة الأقليات الإسلامية في عالمنا المعاصر ، لأن بعضاً من هذه الأقليات يتحرك على مستوى إقليمي ، ومستوى عالمي محدود .. ولكن الذي أعنيه هنا من منطلق المفهوم

الإسلامي ، الذي يدعو ـ بنص الحديث الصحيح ـ إلى أن يكون المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، الذي أعنيه هنا أن محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، لم تتحول بعد إلى قضية تشغل أذهان الأمة المسلمة ككل .. المفروض أن تتوافر لها الوحدة العضوية في المشاركة الوجدانية ، والوحدة الموضوعية في قضاياها .

ولسائل أن يسأل :

ما الذي أدى بالأمة المسلمة إلى ذلك .. وهى التي أرادها الله ـ عز وجل ـ خير أمة أخرجت للناس ؟

وأقول في إيجاز :

لأن هذه الأمة المسلمة المعاصرة ، ليست هى الأمة المسلمة التي أرادها الله خير أمة أخرجت للناس .. إنها اليوم : شكل بلا حقيقة ، وعرض بلا جوهر .. مجرد لفظ بلا مدلول .. أو اسم بلا مسمى .. أو رسم بلا مفهوم ..

ولسنا ـ بالطبع ـ في حاجة إلى أن نقول :

إن علة العلل .. هي أن الأمة المسلمة المعاصرة قد فرطت في جنب الله ، فرفع الله يده عنها .. لقد قامت الدولة الإسلامية الأولى ، وعاشت عصرها الذهبى .. لأنها من منطلق إيمانها الصادق بالله عز وجل ، احتفظت بوحدة المشاعر والأحاسيس

بين أعضائها ، الذين كانوا على قلب رجل واحد .. كالبنيان يشد بعضه بعضاً .. ولا جدال في أن محنة الأقليات المسلمة إنما تعاني اليوم ما تعانيه من الضياع واللامبالاة بها ، بسبب فقدان هذه الأمة المشاعر والأحاسيس فضلا عن وحدتها بين أعضائها .

وقد يحلو لنا أحياناً أن نحمل الاستعمار كل الوزر .. ولكننا نتعمد أن لا نسأل أنفسنا : وماذا فعلت الأمة المسلمة بعد رحيل الاستعمار ، منذ ربع قرن أو أكثر ؟

كذلك يحلو لنا أحياناً أخرى ، أن نلقى اللوم كل اللوم على تقصير الأنظمة ، التى لا تهتم قليلا أو كثيراً بمحنة الأقليات المسلمة .. ولكننا نتعمد أيضا ألا نسأل أنفسنا : وماذا عن تقصير الشعوب المسلمة وقادة الرأي فيها ؟ وإذا كانت الأنظمة تتعمد أن تتجاهل محنة الأقليات المسلمة ، فإن الشعوب وقادة الرأي فيها ، لا تكاد المحنة تخطر لهم على بال .

ولا داعى لأن نتساءل :

أولا : كم في المائة من تعداد الشعوب المسلمة يعرفون شيئاً عن محنة الأقليات المسلمة ؟

ثانياً : وكم في المائة ممن يعرفون شيئاً عن محنة الأقليات المسلمة ، وفي نفس الوقت يحسون بها ؟

ثالثا : وكم في المائة ممن يحسون بها ، وعملوا شيئاً من أجلها ؟

إننا نمسك عن الإجابة عن هذه التساؤلات ، لأنها غير سارة ، ولأن الخاص والعام على علم بها .

وبعد ..

فإن الهدف من هذا البحث ، ليس مجرد توزيع المسئولية عن محنة الأقليات المسلمة ، إلا بقدر ما نقف على حقيقة المحنة ذاتها ، وما يجب على الأمة الإسلامية أنظمة وشعوباً ومؤسسات أن تفعله إزاء هذه المحنة التي تمثل في تاريخنا المعاصر صفحات قلقة .

والله الهادي إلى سواء السبيل ..

محمد عبد الله السمان

تمهيـــــد

إذا كانت محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر واقعاً مريراً لا سبيل إلى تجاهله ـ فضلا عن الجهل به ـ فإن عدم إحساسنا بهذا الواقع المرير لا يعنى عدم وجوده ، لأن عدم رؤية الأشياء عن طريق حاسة البصر لا تعنى عدم وجود هذه الأشياء .. ولأن عدم سماع الأصم للصيحة .. لا يعنى أن الصيحة لم تحدث .

إذن ـ فبداية الطريق إلى وضع حد لهذه المحنة ، هو الإحساس الصادق بها ، وهذا يقتضي أن تكون هناك وسائل إعلام إسلامية شكلاً وموضوعاً . وليست وسائل إعلام في الدول الإسلامية تابعة للسياسات العليا في هذه الدول .. والفرق واضح جلى . لأن محنة الأقليات المسلمة منفصلة تماماً عن الأخيرة ، بينما هي وثيقة الارتباط بالأولى ، وأنباء المحنة التي تتعرض لها أقلية من الأقليات ، تعرضها وسائل الإعلام الرسمية وتذيعها أو تنشرها على أنها أخبار مجردة ، بينما تعرضها وسائل الإعلام الإسلامية ، وتذيعها وتنشرها على أنها قضية تتولى الدفاع عنها .. باعتبار أنها مستقلة تماماً عن تأثير السياسة العليا للدول ، والتي تخضع دائماً للمصالح .

ومن منطلق الإحساس الذي ينبغي أن يشمل الأمة المسلمة أنظمة وشعوباً ، نكون في حاجة إلى معرفة دقيقة عن حجم المحنة التي تعيشها الأقليات المسلمة : جذورها وفروعها وثمارها ، والأيدي الخفية التي تخطط لها ، والتي تمارس التنفيذ بطريق مباشر أو غير مباشر ، ثم الإحاطة التامة بالأقليات المسلمة : كماً وكيفاً ، وأعنى بالكيف هنا : ظروف الأقليات الاجتماعية والثقافية ، والسياسية والاقتصادية ، والنفسية وروحها المعنوية .

وكم نحس بالأسى المرير ، إذ ليس لدينا حتى الآن إحصائية دقيقة عن عدد الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، تيسر لنا الوقوف على حجم المحنة ، برغم كثرة المؤسسات الإسلامية التي تبدى لنا اهتمامها بالمشكلة ، وعلى العكس تماماً بالنسبة للأقليات غير المسلمة في ديار الإسلام ، فإن لها مؤسساتها الجادة التي تعني بها ، لأنها تعمل وتتحرك وتخطط من منطلق العقيدة لا العاطفة أو الإعلان والدعاية .. والمأساة هو أننا نجيد كثرة الكلام ، ولا نجيد أدنى قدر من الأفعال ، لأنه ليس لدينا خطة عمل ، أما غيرنا فيجيد كثرة الأفعال في صمت ، عازفاً عن الثرثرة والإعلان ، لأن لديه خطة عمل ، ومشروعاً يسعى بجدية إلى تنفيذه .

إذا نحن اعتبرنا الإحساس بمحنة الأقليات المسلمة ،

إحساساً شاملاً يستوعب الأمة المسلمة أنظمة وشعوباً .. هو بداية الطريق ، فإن مثل هذا الإحساس ، يجب أن يكون مبعثه تجسيد الواقع المرير الذي يشكل محنة الأقليات المسلمة ، والذي يكشف عن اللامبالاة بالقضية .. هذه التي تدين الأنظمة والعلماء والمفكرين الاسلاميين بالتقصير ، كما تدين الشعوب المسلمة بالقصور .. وتقصير الأنظمة الحاكمة في ديار المسلمين يرجع إلى تجاهلها ـ عن عمد ـ قضية الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر .. ولكن ما هو شر من ذلك ، هو أن بعض الأنظمة تصافح الأيدي الملوثة بدماء الأقليات المسلمة ، أما تقصير العلماء والمفكرين ، فإنما يتمثل في السلبية التي أصبحت لديهم هواية .

ولكي نقف على حقيقة محنة الاقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا الدور الذى لعبه الاستعمار الصليبى فى ديارنا ، وأرسى قواعد المحنة لتظل باقية إلى أن يشاء الله ، ولا الدور الذي يلعبه في الوقت الحاضر النفوذ الصليبي والروسي والهندوكي والبوذي ، أما الدور الذي لعبه ـ ولا يزال يلعبه ـ فهو دور التبشير ، الذي مهد للاستعمار ، وليس مثيراً للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه في الدول التي تستوعب أقليات مسلمة ، ولكن المثير للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه في الدول ذات الأكثرية ـ بل الغالبية ـ المسلمة ، وفي كثير من التحدي ، مثل ما يحدث في

أندونيسيا ، وفي بنجلاديش في آسيا ، وما يحدث في العديد من دول أفريقيا .. والحق أنه لا حاجة بنا إلى شيء من الدهشة ، لأن التبشير فى الدول ذات الأقلية المسلمة ليس فى حاجة إلى حماية ، أما فى الدول ذات الأكثرية المسلمة ، فإنه يعمل فى ظل النفوذ الصليبى الغربى بزعامة أمريكا ، ومخططات الفاتيكان وهيئة الكنائس العالمية وهيئات التبشير الدولية .

وينبغي أن ندرك أن الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، تواجه تحديات ليست سياسية ـ فحسب ـ بل كذلك تحديات فكرية وحضارية ، مثل : الماركسية والصليبية والماسونية والعلمانية ، دون أن تتمتع الأقليات المسلمة بمقاومة تذكر لهذه التحديات ، وبخاصة إذا كان بعض الأقليات المسلمة ، لا يملك رصيداً ذا بال من الفكر الإسلامي الأصيل .

وبقى أن نقول : إن الكَمّ وحده ليس هو الذي يكيف معنى الأقلية ، فهناك أكثر من أكثرية مسلمة كمّا ، تتساوى مع الأقليات ، في الضعف ، وتعامل معاملة الأقليات امتهاناً لكيانها ، وتعسفاً مع حاضرها ومستقبلها .

ذلك كان القسم الأول من الدراسة ، يعرض لواقع الأقليات المسلمة المرير في عالمنا المعاصر ، وهانحن أولاء نعرض للقسم الثاني : الأقليات المسلمة والمخرج .. وبادىء ذى بدء نطرح هذا السؤال : « ماذا قدمنا للأقليات المسلمة .. وماذا يجب أن نقدم لها حتى نخرج بها من محنتها ؟

ولكى نكون صرحاء مع أنفسنا يجدر بنا أن نقول كلمة حق بالنسبة للإجابة عن الشطر الأول من السؤال : ماذا قدمنا للأقليات المسلمة فى محنتها ؟

إن الإجابة هنا غير مرضية على الإطلاق ، بل هي باعثة على الأسى الممض .. ففي المجال السياسي لم نقدم شيئاً ، بل إننا نتعاون سياسياً مع الأنظمة المعادية للإسلام ، والمضطهدة للأقليات المسلمة في بلادها ، ولك أن تتصور ـ على سبيل المثال ـ أن أندونيسيا أكبر دولة إسلامية تشترك في حلف يضم ضمن أعضائه : الفلبين وتايلاند ، وهاتان الدولتان بالذات تمارسان أشرس الأساليب في حربهما ضد الأقلية المسلمة فيهما .

وفي الجانب المادي ، ما قدمناه نحن ـ المسلمين ـ يبعث على الخجل ، ولندع الدول المسلمة الفقيرة التي تعيش على القروض والمعونات .. لندعها وشأنها ، ويبقى الحديث عن الدول البترولية ذات الثراء العريض ، التي تنفق في الترف إلى درجة السفه مئات الملايين من الدولارات ، ويكفي أن تعلم ـ على سبيل المثال ـ أن مسلمى الهند تلقت مؤسساتهم الإسلامية من دول البترول عام ١٩٨٤م خمسة ملايين من الدولارات ، بينما تلقت مؤسسات التبشير المسيحي هناك مائة وعشرين مليوناً من الدولارات في نفس العام ، وقد دفعت

أمريكا وحدها ٦٠٪ بالرغم من الفارق الكبير بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند .

اما في الجانب الروحى والفكرى ، فلم نبذل نحن ـ المسلمين ـ للأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، إلا أقل القليل ، وهو ما لا يسمن ولا يغنى من جوع ، ويكفي أن نجرى مقارنة ـ في أية دولة ـ بين عدد المبعوثين الإسلاميين سواء من الأزهر أم من غيره من المؤسسات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، أو دار الافتاء بالرياض ـ السعودية ، وبين عدد المبشرين المسيحيين في نفس الدولة ، ولنتأكد بعد هذه المقارنة الحقيقة المريرة .. وليس الفارق فى الكم وله أهميته . بل الفارق في الكيف كذلك ، إذ يتيسر للمبشر من الإمكانات المادية والثقافية ووسائل التبشير ما لا يملكه الداعية الإسلامي ، وقد يقال : إن التبشير يستمد وجوده من أغنى دول العالم ـ وبخاصة أمريكا ودول أوروبا الغربية ـ ونقول : هذا حق ، ولكن الذي نعنيه هو استراتيجية العمل ، التي نفتقدها نحن ، ولا يفتقدها التبشير المسيحي .

عرضنا للشطر الأول من السؤال المطروح : ماذا قدمنا للأقليات المسلمة ؟

وبقى أن نعرض للشطر الآخر من السؤال : وماذا يجب أن نقدم للأقليات المسلمة ؟

وفي إيجاز أقول : اننا نستطيع أن نقدم الكثير للأقليات

المسلمة في عالمنا المعاصر ، متى أحسسنا أولا بمحنتها ، وعقدنا العزم على العمل من أجلها ثانياً ، مع توافر الصدق في الاحساس والعزم .

وقد يسأل سائل : كيف يمكن أن يتم ذلك ؟

وأقول في إيجاز : يمكن إلقاء المهمة على عاتق الدعوة الإسلامية ، متى توافرت لها استراتيجية ناجحة ، تعمل وفق مخططاتها في الدول غير المسلمة والتي تستوعب عدداً ـ قل أو كثر ـ من المسلمين .. وليس من قبيل المصادرة على المطلوب أن نعترف بأن للدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية وجوداً ، إلا أنه وجود بغير استراتيجية .

وهذه المسألة تقتضينا أن نعرض لجوانب ثلاثة :

الأول : عوامل النجاح لهذه الاستراتيجية ، وهي تتركز في ثلاثة مطالب :

أ) التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية معاً .

ب) توافر الإمكانات : المادية والأدبية والعلمية والسياسية .

جـ) التأهيل الشامل للقائمين على الدعوة الإسلامية .

الثاني : معوقات النجاح ، وهى تتركز في معوقات ثلاثة :

أ) الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل .

ب) ضعف الإمكانات وعدم ترشيدها .

جـ) التقلبات السياسية : المحلية والدولية .

الثالث : هناك مشكلات تنبع من داخلنا ، وأخرى تأتينا من خارجنا ، كيف نواجه مثل هذه المشكلات لنضمن مسيرة الدعوة بلا معوقات .

وكلمات أخيرة :

لكي نكون صرحاء مع أنفسنا ، نعترف بأن المهمة شاقة ، ولكن نجاحها ليس مستحيلاً ، إذا تحولت محنة الأقليات المسلمة في أذهان الأمة الإسلامية قادة وشعوباً إلى قضية ـ لا مشكلة ـ مجرد مشكلة عابرة أو هامشية في حياة هذه الأمة ، ثم إذا أصبح لهذه المحنة منظمة دولية مستقلة إرادة وعملا وسلوكاً ، لها شخصيتها الاعتبارية أو القانونية ، وليست مجرد تابعة لدولة من الدول الإسلامية مهما كان شأنها .

وما ذلك على الله ببعيد ...

أضواء على الواقع

بادىء ذى بدء أقول :

إن مما تمتاز به دعوة الإسلام ، هو أنها دعوة إلى أخوة عامة ، مجالها الإنسانية بلا أية فوارق فى الجنس أو اللون أو الأصل ، باعتبار أن هذه الإنسانية هى الطابع المميز للآدمية التى كرمها الله عز وجل ، وباعتبار أن دعوة الإسلام ذاتها موجهة فى الأصل إلى البشرية كافة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . .)[1]

ثم إن هناك دعوة إلى أخوة خاصة قوامها العقيدة ، وهى أساس الإيمان بالله وحده .. وهذه العقيدة هى المقياس لصلاحية الإنسان لكى يكون جديراً بخلافة الله ـ عز وجل ـ فى أرضه ؟

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . . .)[2]

ومن هذا المنطلق .. لا يجوز التضحية بهذه الأخوة

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

الخاصة التي قوامها العقيدة من أجل الأخوة الشاملة التي مجالها وحدة الأصل للبشرية ، لأن هذه الأخوة الخاصة التي قوامها العقيدة ، وأساسها الإيمان بالله وحده .. تعتبر بمثابة المحرك الذي يحرك البشرية إلى سبل الهدى والخير :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .)[٣]

ومن هذا المنطلق أيضاً ـ لا ينبغي التضحية بالمبادىء الإنسانية ـ ولحمتها وسداها العدل ـ من أجل مصلحة هذه الأخوة الخاصة .. وإلا انهارت قيمة الدعوة الإسلامية ، لأنها قد تخلت عن ركيزة المبادىء الإنسانية التي جاءت لترسي قواعدها .. أعني العدل :

(. . وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . .)[٤]

بل إن دعوة الإسلام تهيب بالمسلمين أن يحققوا أعلى درجات العدل ، هي أن ينصفوا الناس .. ولو كانوا لهم أعداء :

---

(٣) من الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

(٤) من الآية ٥٨ من سورة النساء .

(. . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . .)(٥)

والإسلام لا يمنع أن يكون ولاء للمسلمين تجاه الأخوة الإنسانية العامة ، ولكن فى إطار التعاون على البر والتقوى ، أما بالنسبة للأخوة الخاصة ـ أخوة العقيدة ـ فالولاء لها فريضة واجبة ، ولا ولاء ـ على الإطلاق ـ لأعدائها :

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ .)(٦) .

والاستثناء .. إلا أن تتقوا منهم تقاة .. لا يستغل تبعاً لأهوائنا ، لأن الضرورة تقدر بقدرها .. ولذلك جاء بعد ذلك : « وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ . . » أى أن الله مطلع على خبايا النفوس ، وسوف يحاسبنا على ذلك .. والآية تخاطبنا على مستوى الدولة والأفراد .. لكن مخاطبة الجماعة فى المقام الأول .. وأقول :

---

(٥) من الآية ٨ من سورة المائدة .

(٦) من الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

إن التفريط فى هذا المبدأ كان وراء محنة الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر وبخاصة الأكثرية كماً والأقلية كيْفا ، ويجدر بنا أن نضرب مثلاً لذلك بمسلمى الحبشة : فهم أكثرية عدداً ـ كما ـ لكنهم أقلية كيفا ـ من حيث وضعهم السياسى والاجتماعى ، فهم حتى اليوم رعايا لا مواطنون ، بل رعايا من الدرجة الثانية ، ولنا عودة إلى هذه المسألة ، لأنها تمثل أخطر مرحلة من مراحل المحنة .

● ● ●

المحنة فى أفريقيا :[7]
لماذا أبدأ بأفريقيا ؟

- لأنها القارة الوحيدة ـ دون القارات الأربع الباقية ـ التى يمكن أن نطلق عليها « القارة المسلمة » حيث يمثل المسلمون فيها أكثر من خمسين فى المائة من سكانها ، وتمثل البقية : الوثنية والمسيّحية واليهودية ، مع ملاحظة أن عملية الإحصاء بالنسبة لمسلمى أفريقية غير دقيقة ، وللاستعمار والأنظمة السياسية المعادية للإسلام دور فى عمليات التزييف .

- ولأن الإسلام قد انطلق إلى أفريقيا مبكراً ، وأول إشعاع إسلامى حمله معه إلى الحبشة الرعيل الأول من الصحابة من مكة ، وفتحت مصر فى عهد عمر بن الخطاب .

- ولأن الصراع اليوم فى أفريقيا قائم على أشده بين الإسلام من جهة ، وبين خصومه من جهة أخرى ، وهذه الخصومة تتمثل فى الثالوث الكريه : التبشير والصهيونية والماركسية .. والتبشير بالذات الذى ينزل اليوم بكل ثقله ، ليس ـ فحسب فى

---

(٧)صدرت أخيرا دراسة عن الأقليات المسلمة فى أربعة أجزاء للأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، ضمن سلسلة « دعوة الحق » عن إدارة الصحافة والنشر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وقد عولت ـ عليها ـ مع غيرها ـ باعتبارها دراسة جديدة .

الدول ذات الأقلية المسلمة ، بل هو أشرس فى الدول ذات الأغلبية المسلمة .. وذلك لأن المعونات والقروض من مصادر القوى المعادية تلعب أخطر الأدوار .

فى أفريقيا أكثر من ستين دولة ، وتمثل الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ٣٠٪ ، وفيها تبلغ نسبة المسلمين زهاء ٨٠٪ وتبلغ نسبة المسلمين فى الدول غير الإسلامية أكثر من ٣٠٪ ، والإحصاء هنا غير دقيق ، وليس فى صالح تعداد المسلمين ، لأننا لا نزال نرجع إلى المصادر الغربية ، وهى تعتمد على الهيئات التبشيرية فى المقام الأول .

إن الدول ذات الأغلبية المسلمة هى :

مصر ـ السودان ـ ليبيا ـ المغرب ـ تونس ـ الجزائر ـ موريتانيا ـ تشاد ـ السنغال ـ مالى ـ النيجر ـ الصومال ـ نيجيريا ـ چيبوتى ـ غينيا بيساو ـ أثيوبيا ـ أريتريا ـ ناميبيا ـ تنزانيا ـ موزمبيق ـ الكاميرون ـ سيراليون ـ توجو ـ ثم ساحل العاج .

ومن الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ :

داهومى « بنين » ـ ليبريا ـ الجابون ـ غانا ـ كينيا ـ أوغندا ملاوى ـ ثم جمهورية أفريقيا الوسطى .

وفى الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ١٧٠ مليوناً ،

تمثل ٧٠٪ من عدد السكان ، بينما فى الدول ذات الأقلية المسلمة ، يبلغ عدد المسلمين زهاء ٧٥ مليوناً ، تمثل أكثر من ٣٠٪ من عدد السكان .

ونتيجة لذلك فإن مجموع نسبة المسلمين فى أفريقيا زهاء ٥٢٪ من عدد سكانها ولا غرابة فى أن تعتبر أفريقيا قارة إسلامية .. والحفاظ على الأسماء ليش مشكلة ، وإنما المشكلة هى الحفاظ على المسميات ، والحق أننا اليوم مغرمون بالأشكال والألقاب ، ولسنا مغرمين ـ على الإطلاق ـ بالحقائق ومضامين الألقاب ، وهاهى ذى أفريقيا اليوم ساحة الصراع بين الإسلام وخصومه ، والأمة المسلمة ـ بكل أسف ـ فى غفلة من هذا الصراع وكأن الأمر لا يعنيها فى قليل أو كثير .. ونحن نعنى بالأمة المسلمة ساستها لأن شعوبها لا تزال على الهامش .

فى ظلال المحنة :

نحن لا ننكر ـ أولاً ـ أن الاستعمار هو الذى ألقى بذور المحنة فى أرض أفريقيا ، وهذه البذور قد أثمرت وآتت أكلها ، وهو ما تعانيه الأمة المسلمة المعاصرة .. ولكنا لا نريد أن نعترف بأن غفلة الأمة المسلمة ، واسترخاءها فى السلبية مما أعان الاستعمار ، وشد أزره ، وجعله يستمرىء التوغل فى قلب أفريقيا المسلمة .

وهناك مفهوم خاطىء نعتقده ـ نحن المسلمين ـ وأصبح مفهوماً صحيحاً فى أذهان أبنائنا فى المدارس والمعاهد وطبقاً لمناهج الدراسة المقررة عليهم . هذا المفهوم الخاطىء هو : أن مهمة الاستعمار سياسية واقتصادية ـ فحسب ـ سياسية تعنى السيطرة ، واقتصادية تعنى امتصاص خيرات البلاد ، وفتح أسواق جديدة لمنتجات الدول الاستعمارية ، وهذه حقيقة .. ولكنها حقيقة منقوصة ، لأنها تتجاهل مهمة أخرى هى عقائدية فى المقام الأول ، مهمة الزحف على الديار الإسلامية لوقف المد الإسلامى ، وتجميد نشاطه .

إن حملات التبشير المسيحى بدأت الزحف ، وكانت ممولة من دول صليبية أوروبية ابتداء .. هذه الحملات مهدت للاستعمار العسكرى ، ليتولى الاستعمار بعد ذلك حمايته ، ويجعله يسرح ويمرح بلا أدنى قيود فى أرض المسلمين ، إذن فالتبشير والاستعمار صنوان من أصل واحد ، وحليفان طبيعيان ، ولقد كان الدكتوران : مصطفى الخالدى وعمر فروخ موفقين حين جعلا عنوان كتابهما المشهور « التبشير والاستعمار » لأن التبشير ـ كما قالا فى إهدائهما ـ إنما يبذل جهوده لخدمة الاستعمار الغربى .

ولسنا ندرى ونحن نعرض لمحنة الأقليات المسلمة فى أفريقية ـ من أين نبدأ ، ولا إلى أين ننتهى .. فما أشبه المحنة

ببحر خضم متلاطم الأمواج ، لا ساحل له ، والذى يكتب عن الأقليات المسلمة ، قد لا يجد مشقة إلا فيما يتصل بمصادر الإحصاء وكلها فى يد أوروبا عن طريق مبشريها الذين يتعمدون إنكار الحقائق ، أما الذين يحاولون أن يؤرخوا لمحنة الأقليات المسلمة ، فإن مهمتهم شاقة مضنية .

وقد يقال :

أليس لنا دعاة أو مبعوثون إسلاميون من الأزهر ودار الإفتاء ورابطة العالم الإسلامى ، يعملون فى أفريقية . ؟

وأقول ـ والحقيقة دائما مرة :

بلى : إن لدينا فى أفريقيا عددا من المبعوثين العلماء ... ولكن ليسوا على مستوى المبشرين ، لا من حيث الفكر ، ولكن من حيث أساليب الممارسة للنشاط ، والإمكانات المتاحة للمبشرين ، سواء أكانت أدبية أم مادية أم سياسية ..

ولا يمكن أن نتجاهل الفارق الشاسع فى الكم ، أو نتجاهل أهمية هذا الفارق .

وعلى سبيل المثال :

فى أفريقية بلغ عدد المبشرين فى عام ١٩٢٥ نحوا من ٦٣٠٠ مبشر ، بينما لم يكن فيها من الدعاة المسلمين القادمين من الأزهر إلا بضع عشرات ، وبعد أكثر من نصف قرن ،

تضاعف عدد المبشرين من الكاثوليك ومن البروتستانت عشرات المرات ، ولا يزال عدد الدعاة المسلمين يتقدم بخطى ثقيلة .. ودعك من الفارق الشاسع فى الإمكانات .

قلت :

إن الكاتب حين يكتب عن محنة الأقليات المسلمة فى أفريقية ، يعرض نفسه لمهمة شاقة ، ولا تكاد توجد أقلية مسلمة واحدة لا تعيش فى خضم هذه المحنة ، وبرغم أن الحكومات فى الدول التى تستوعب أقليات مسلمة ، معظمها علمانى التفكير والأسلوب ، إلا أنه لم يتجرد من النزعة الصليبية الحاقدة على الإسلام ، والقلقة من المد الإسلامى ، ولو أن هذا المد أفقى وليس رأسياً .

وفى هذه الدراسة المحدودة أرانى مضطراً إلى ضرب بعض الأمثلة ، على سبيل المثال ـ لا الحصر ، وإن كنت آنفاً اعترفت بأننى لا أدرى من أين أبدأ ، ولا إلى أين أنتهى ، إلا أنه لابد مما منه بد ، كما يقولون ـ وأضيف هنا ، ما أكتبه عن المحنة ، أو يكتبه غيرى ، لا يمثل إلا جزءاً من الحقيقة المريرة ، وذلك راجع إلى التقييم الإعلامى العالمى الذى تسيطر عليه قوى الشر الممثلة فى الصليبية والصهيونية والماركسية ، هذه ناحية ، وناحية أخرى ـ افتقادنا إلى وسائل إعلام إسلامى يعمل من منطلق العقيدة ، بل ما هو أدهى

وأمر أن وسائل الإعلام فى الدول المسلمة ذاتها تسهم بقسط لا بأس به فى التقييم الإعلامى بغير قصد حينا ، ومتعمدة أحياناً كثيرة ، ومتى أهملت بدون قصد كان معنى هذا أن الأمر لا يعنيها ، ومتى تعمدت التجاهل ، كان معنى هذا خضوع هذه الوسائل الإعلامية لتوجيهات سياسية عليا .

● فى أوغندا ●

أوغندا من دول شرقى أفريقية ، استعمرتها بريطانيا فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، واستقلت أخيراً عام ١٩٦٢م ، ويبلغ عدد سكانها زهاء أربعة عشر مليوناً ، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٣٠٪ وتحد من الشمال بالسودان ومن الشرق بكينيا ، ومن الجنوب بتنزانيا ، ومن الغرب بزائير ورواندا .

قبل الغزو البريطانى لأوغندا بسنوات زحف المبشرون من البروتستانت البريطانيين والكاثوليك الفرنسيين ، وكان للتجار العرب سبق ، حيث تركوا آثاراً إسلامية قوية ، ولكن الاستعمار البريطانى كان له أسلوبه فى طمس هذه الآثار ، والاستعمار ـ أيا كان لونه ومصدره ـ فإن مهمته لا تقتصر على السيطرة السياسية والاقتصادية ، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق أهداف دينية ، من منطلق الرواسب التى خلفتها الحروب الصليبية ، ولك أن تتصور أن عدد البريطانيين فى

أوغندا قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن بلغ ٧٠٠٠ بريطاني ، من بينهم مبشر ١٢٠٠ بروتستانتي .

لقد حرص الاستعمار البريطاني - بكل أساليبه ووسائله المعروفة - على عرقلة أي نشاط للحركة الإسلامية ، وبخاصة في مجال التعليم ، فالمسلمون في أوغندا يتركز معظمهم في الشمال المتصل بحدود السودان ، ولما كان هناك إقبال من مسلمي أوغندا على جامعة الخرطوم في السودان ، فقد أنشأ الاستعمار البريطاني في أوغندا جامعة « ماكريري » كبديل لجامعة الخرطوم .. وذلك ليحول دون اتصال مسلمي أوغندا بالشمال ، ثم إنه عهد للبعثات التبشيرية التنصيرية بالإشراف على التعليم لقطع الصلة بين المسلمين والثقافة الإسلامية ، وكان وراء هذا العمل مخططات مجلس الكنائس العالمي المزودة بالأموال ، ولم تقف المحاولات عند هذا الحد ، بل إن السلطات أخذت في هدم المدارس الإسلامية أو بمعنى أدق إغلاقها .

وقبل استقلال أوغندا بلغ عدد المدارس الثانوية التي تمتلكها الهيئات التبشيرية ٢٨٢ مدرسة ، بينما كان عدد المدارس الإسلامية ١٨ مدرسة ، وهذا يؤكد اختلال موازين العدل ، وما كان ينتظر من مثل الاستعمار البريطاني ، وحتى ما بعد الاستقلال ١٩٦٢م ظل الوضع في اضطهاد الإسلام

كما كان لأن الحكومة الوطنية كانت قد رضعت من لبان الاستعمار ، ونشأ أعضاؤها بين أحضانه ، ولا يمكن أن نتجاهل أن الاستعمار الصليبي في أفريقيا ـ بالذات ـ قد عمل على أن تكون السلطة الحقيقية للمؤسسات التبشيرية .

وفي عهد عيدي أمين الرئيس الأوغندي السابق بدأ المسلمون يتنفسون الصعداء ، ولكن ما كان الاستعمار الصليبي ومؤسساته التبشيرية ، أو الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمي أن يدعو هذا الرجل الذي أعلن إسلامه ، وجعل أوغندا عضواً في المؤتمر الإسلامي ، فأطيح به عام ١٩٧٩م . وقد تولى الحكم بعده حاكم مسلم هو « يوسف والي » ولكنه أقصي عن الحكم ليتولى مكانه محام مسيحي هو « جود فيري بنيسا ...» وعاد الاضطهاد ضد الإسلام والمسلمين يأخذ مكانه من جديد .

ولم يتم إقصاء عيدي أمين في هدوء ، حيث كاد أن تنشب في أوغندا حرب أهلية ، لولا أن تدخل القس نيريري الرئيس التنزاني السابق ، الذي أرسل قواته لإبادة المسلمين المؤيدين لعيدي أمين ، ولا يعرف على التحديد ضحايا المجزرة التي حدثت في مسلمي أوغندا على أيدي قوات تنزانيا ، وحسبك أن تعلم أن أكثر من خمسين ألفاً من المسلمين استطاعوا الهرب ، وأصبحوا حتى اليوم لاجئين في السودان .

والمحنة لا تزال قائمة ، بل لقد ازدادت شراهة وشراسة ، فمنذ أيام نشرت الصحف أن الانقلاب العسكرى الأخير كشف عن أن ثمانين ألفاً من الأوغنديين وجدوا فى المعتقلات والسجون معظمهم من المسلمين ..(٨)

● فى كينيا ●

كينيا من دول شرقى أفريقيا ، استعمرتها بريطانيا سنة ١٨٨٨م واستقلت بعد ثلاثة أرباع القرن أى فى عام ١٩٦٣ ، وتعتبر مساحتها أوسع من مساحة فرنسا ، وتقع أوغندا فى الغرب ، وتنزانيا فى الجنوب ، والحبشة من الشمال ، ثم الصومال من الشمال الشرقى ، ويبلغ عدد سكانها زهاء ستة عشر مليوناً ، ونسبة عدد المسلمين أكثر من ٣٥٪ .

ويمثل احتلال بريطانيا لكينيا حقيقة مخططات الاستعمار الصليبى ، الذى يعتمد على الحيلة ، ثم تمزيق الدولة إلى دولتين أو دويلات ، إن كينيا كانت جزءاً من مملكة إسلامية هى دولة آل سعيد من سلطنة عمان ، ودولة آل سعيد هى التى قاومت الغزو البرتغالى ، ونجحت فى إقامة سلطنة « زنجبار » .

---

(٨) المرجع السابق ، وجريدة الندوة ـ مكة المكرمة .

لقد تقاسمت انجلترا وألمانيا الدولة الإسلامية ، حيث كان نصيب الأولى كينيا وزنجبار الجزيرة ، وكان نصيب ألمانيا تنجانيقا والصومال فى الجزء الأكبر منه ، هذا وقد سبق الاحتلال البريطانى العسكرى شركة شرقى أفريقيا البريطانية بعدة سنوات ، حيث قامت بدور كبير فى التمهيد للاستعمار البريطانى الصليبى .

ففى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، شنت البرتغال حملات صليبية على الإمارات الإسلامية ، التى كانت قائمة على سواحل أفريقيا الشرقية ، واستمرت الحملات أكثر من قرنين ، ووجدت كل مساعدة من الحبشة ، وذلك ليس بمستغرب ، وقاوم العمانيون أشجع مقاومة بقيادة آل سعيد ، وتمكنوا من طرد البرتغاليين الذين ارتكبوا أشرس المذابح فى الشيوخ والنساء والأطفال ، ودمروا إمارات ومدنا بأكملها ، وكان أن شق الإسلام طريقه إلى داخل أفريقيا .. ولم يستقر الإسلام والمسلمون طويلاً ، فمع القرن الثامن عشر تحرك إلى أفريقيا الاستعمار الغربى الصليبى مبتدئاً بألمانيا وانجلترا .. ثم بعد ذلك فرنسا وإيطاليا .

وعندما حط الاستعمار البريطانى رحاله فى كينيا ، كان شغله الشاغل تشجيع التبشير المسيحى ليقف فى وجه المد الإسلامى ، ومما هو جدير بالذكر أن الدول الأفريقية التى

تستوعب أقليات مسلمة ، لا تعنى أن الأكثرية مسيحية بل هى قلة أيضاً ، لكنها أقلية تمسك بزمام الأمور فى ظل النفوذ الأجنبى ، ممثلاً فى الغرب الصليبى ، والنفوذ الداخلى ، ممثلاً فى الهيئات التبشيرية ، التى تستمد وجودها من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ، ولا يمكن أن نتجاهل ـ فضلاً عن أن نجهل ـ دور الصهيونية الحديث ، التى تسهم بأوفر قسط فى العمل على تقليص الظل الإسلامى فى أى مكان من أفريقيا .

إن الأقلية المسلمة فى كينيا ـ شأنها شأن سائر الأقليات المسلمة لا فى أفريقيا بل فى العالم بأسره ـ واجهت ـ ولا تزال تواجه ـ تحديات لا أول لها ولا آخر ، ففى عام ١٩٠٠م عقدت هيئات التبشير فى كينيا مؤتمراً كنائسياً ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات تفرض على السلطات البريطانية المستعمرة سرعة المبادرة بالعمل على وقف المد الإسلامى فى كينيا .. وكانت الإستجابة أمراً طبيعياً ، حتى فى المجال الاقتصادى ، حيث صودرت أراضى المسلمين ، فضلاً عن المجال التعليمى ، وهو المجال الطبيعى الذى يحقق التبشير فيه أهدافه ، وأهم إنجازات الاستعمار البريطانى هو بث التفرقة بين المسلمين فى شرقى أفريقيا .

استطاعت هيئات التبشير بالمعونات الكثيرة التى كانت

تأتيها من الخارج ، وبخاصة مجلس الكنائس العالمية ، أن تنشيء كثيراً من المدارس ، أما الهيئات الإسلامية كثيرة العدد فلم تتمكن إلا من إنشاء الكتاتيب وبعض المدارس الأولية بجهدها الذاتى المتواضع مادياً ، وشاء الاستعمار البريطانى أن يجعل للإرساليات التبشيرية المهيمنة على التعليم فى كينيا ، وزاد الطين بلة ـ أن كان قصر الوظائف الحكومية على الذين تلقوا تعليمهم فى مدارس الإرساليات ، والتى عزف عنه أبناء المسلمين .

بقى أن نلفت النظر إلى أمرين مهمين :

الأول : أن كثرة الهيئات الإسلامية ، وفقدانها الوحدة خطة وهدفاً ومنهجاً ، ثم عدم اتصال المسلمين الوثيق فى كينيا بالعالم الإسلامى الخارجى ، مما يمثل معوقاً للدعوة الإسلامية ، وتحدياً عكسياً لها .

الثانى : أن فى كينيا اليوم مركزاً تبشيرياً ذا أهمية قصوى هذا فى مجال الدعوة والفكر ، أما فى مجال السياسة ـ وهو الأخطر ـ فإن كينيا تنسق وتتعاون مع الحبشة ، وجنوبى السودان . وتنزانيا ، وأوغندا المعاصرة ، فى تطويق الإسلام فى شرقى أفريقيا .

● غانا ●

من دول غربى أفريقيا مستعمرة بريطانية سابقاً ، عرفت

فيما مضى بساحل الذهب ، ومساحتها تقارب مساحة بريطانيا ، وهى أولى المستعمرات فى غربى أفريقيا استقلت « ١٩٥٧م » تحدها من الشرق توجو ، ومن الغرب ساحل العاج ومن الشمال فولتا العليا ، وهذه الدول الثلاث تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٠٪ ويبلغ عدد سكان غانا اليوم أكثر من اثنى عشر مليوناً ، ونسبة عدد المسلمين فيها أكثر من الثلث .

لقد دخل الإسلام غانا ـ أو ساحل الذهب ـ منذ نهاية القرن العاشر الهجرى أو السادس عشر الميلادى ، وأخذ فى الانتشار عن طريق بعض القبائل المسلمة من البلاد المجاورة ، ثم عن طريق التجار المسلمين الذين أدوا خدمات جليلة فى نشر الإسلام فى أفريقيا ، ومن الجدير بالذكر أن مجلس مسلمى غانا اشترك اشتراكاً فعلياً فى الجهاد مع نكروما رئيس غانا السابق .

ولكن بعد الاستقلال تجاهل النظام الحاكم جهاد المسلمين وتنكر له تحت ضغوط هيئات التبشير ، وحديثاً أصبح للصهيونية نفوذها وبذلك حوصر الإسلام بين فكى أشرس عدوين : الصليبية والصهيونية معا .

● ليبريا ●

ليبريا إحدى دول ساحل غربى أفريقيا ، قام بإنشائها

الغرب كمستقر للرقيق المحرر ، هذا الغرب الذى تمادى عدة قرون فى تجارة الرقيق ، وقد حصلت ليبريا على استقلالها مبكراً سنة ١٨٤٦م ، وكانت البداية فى إنشاء هذه الدولة تأسيس مدينة مونروفيا العاصمة على حساب الدويلات المسلمة المتاخمة ، وقد هاجر إليها الأمريكيون السود .

وتحد ليبريا من الشمال غينيا ، ومن الغرب سيراليون ، ومن الشرق والشمال الشرقى ساحل العاج ، ومن الجنوب المحيط الأطلنطى ، وهذه الدول الثلاث يتمتع المسلمون فيها بأكثرية ، ولاسيما غينيا زهاء ٧٥٪ وعدد سكان ليبريا زهاء المليونـين ، ونسبة المسلمين زهاء ٣٥٪ بينما يمثل الزنوج المحررون حوالى ٥٪ وبرغم تعدد اللغات ، فإن اللغة الإنجليزية هى السائدة .

لقد انتشر الإسلام فى القرن السابع الهجرى ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى استطاع الإسلام لمرونته ، ورفعه من شأن الإنسان ـ أيا كان هذا الإنسان ـ أن ينتشر ويعم الآفاق المجاورة ، مما جعل مجلس العموم البريطانى فى أوائل القرن التاسع عشر يناقش المسألة فى جلساته ، ولقد تمكنت الدعوة الإسلامية هناك من مقاومة كل التحديات : السياسية الاستعمارية أو العقائدية التبشيرية ، وليس معنى هذا توقف التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية ، فلا تزال قائمة ،

وبخاصة القاديانية ، والتبشير ، والصهيونية ، والسلطة مسيحية تناصر الجميع .

وليس من عجائب الاستعمار ، أن تكون السلطة فى ليبريا فى يد الزنوج الأمريكيين المسيحيين المهاجرين . وهم لا يمثلون أكثر من ٥٪ بينما لا يشترك فى السلطة المسلمون الذين يمثلون أكثر من ثلث السكان .

● زائير ●

زائير هى الكنغو البلجيكى - وسط أفريقيا - وهى - بالطبع - غير الكنغو الفرنسى ، وزائير تعتبر فى القارة ثالث دولة فى المساحة بعد السودان والجزائر ، ويبلغ عدد سكان زائير اليوم قرابة ثلاثين مليوناً ، ونسبة المسلمين فيها حوالى ٤٪ وقد كانت مستعمرة بلجيكية ، استقلت سنة ١٩٦٠م ولاتساع مساحتها ، نجدها تشترك فى الحدود مع دول عديدة ، فهى تحد من الشمال بالسودان وأفريقيا الوسطى ، ومن الجنوب أنجولا وزامبيا ، أما من الشرق فأوغندا وتنزانيا ، ورواندا وبورندى .

وأعجب ما فى هذه الدولة أن سكانها يتألفون من أكثر من مائتى مجموعة عرقية بلغاتها ولهجاتها ، وبرغم ذلك استطاع الإسلام أن يجد مكاناً له فى رقعتها الشاسعة ، وصل إليها عن

طريق زنجبار إبان ازدهارها ، كما وصل إليها عن محاور كثيرة أخرى ، وأهمها هجرة جماعات مسلمة إلى زائير من الدول المجاورة مثال السودان والسنغال ومالى .

وقد نشأت مدن بل وبعض ممالك إسلامية فى زائير ، لكن الاستعمار البلجيكى الذى بدأ يتسلل إلى البلاد فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبرغم ما تتمتع به زائير من خبرات ، إلاّ أن مستوى المعيشة منخفض للغاية لوجود الاستعمار البلجيكى الذى قام بالنهب والسلب .. شأنه شأن أى استعمار صليبى فى أفريقيا بأسرها .

والذى يهمنا ، هو وضع الإسلام والمسلمين فى زائير .. وهو وضع عليه أن يواجه التحديات ، فالاستعمار البلجيكى الكريه فتح الباب على مصراعيه للهيئات التبشيرية والتنصيرية ، وحسبك أن تعلم أن كنشاسا العاصمة بها خمسة عشر ألفاً من القساوسة والرهبان ، وفى زائير أكثر من عشرين ألف مدرسة تبشيرية فى المرحلة الابتدائية فقط ، ويشرف المبشرون على معاهدها وجامعاتها ، ولأمريكا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا أكثر من خمس عشرة بعثة وإرسالية للتنصير ، وليس فى زائير إلا ترجمة واحدة للقرآن الكريم ، وهى ترجمة مزيفة ومشوهة .. ولا يمكن إلا أن يكون للصهيونية دور رئيسى فى التضييق على الدعوة الإسلامية .

● ملاوى ●

كانت فيما مضى محمية بريطانية ـ نياسالاند ـ بعد صراع بين الاستعمار البريطانى والاستعمار البرتغالى ، وانتصر الأول ، وأعلن عن قيام محمية ـ نياسا لاند ـ البريطانية عام ١٨٩١م ، وقد حصلت على استقلالها تحت اسم ملاوى عام ١٩٤٦م وتعتبر ملاوى من دول جنوبى أفريقيا ، تحد من الشمال والشمال الشرقى بتنزانيا ، وموزمبيق من الشرق والجنوب ، وزامبيا من الغرب ، ومما هو جدير بالذكر : أن جنوبى أفريقيا نصف سكانه من الوثنيين ، وهذا جعل الصراع محتدا بين الإسلام والمسيحية التى نزلت بكل ثقلها ، من هيئات تبشيرية وتنصيرية .. ويبلغ عدد سكان ملاوى زهاء سبعة ملايين .. ونسبة المسلمين تربو على الثلث ، وقد وصلها الإسلام مبكراً فى القرن العاشر الهجرى أيام دولة آل سعيد فى شرقى أفريقيا ..

عندما بدأ تسلل الأوروبيين إلى ملاوى .. بدأت البعثات التبشيرية التنصيرية تخترق ربوعها ، ولقد فشلت فشلاً ذريعاً ، وأخيراً تدخلت السلطات البريطانية فأضفت عليها حمايتها من جانب ـ ومن جانب آخر أطلقت يدها فى التعليم ، وجعلته تحت إشرافها ، وكان أن فرض تعليم الدين المسيحى على سائر المدارس دونما مراعاة لوجود أكبر جالية إسلامية .

وكان لابد أن يواجه المسلمون تحديات السلطات وهيئات التبشير معاً ، لكن أول مندوب سام لبريطانيا بعد إعلان الحماية سنة ١٨٩١ م هو « هرى جنستون » الذى قابل التحدى بالإرهاب والتنكيل ، وكانت النتيجة أن عدد المسلمين كان يمثل أكثر من ٦٠٪ فى أولى سنوات الحماية ، ثم هبط إلى أكثر من الثلث .

وكما يحارب الإسلام فى ملاوى ، تحارب الثقافة الإسلامية واللغة العربية والمشكلة هى : بينما تقف السلطات إلى جانب الهيئات التبشيرية والتى تتلقى معونات لا حدود لها من أمريكا وأوروبا ، نجد السلطات تبذل جهدها فى وضع العراقيل فى طريق الدعوة الإسلامية ، والتى تعتمد على الجهود الذاتية ، ولا يصلها من المدد إلا أقل ما هو مطلوب ..

● ● ●

● أضواء أخرى على المحنة ●

ضربت بعض الأمثلة عن الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، فاخترت دولتين من شرقى أفريقيا هما : أوغندا وكينيا ، ودولتين من غربى أفريقيا هما : غانا وليبيريا ، ثم اخترت دولة واحدة من وسط أفريقيا هى : الكنغو ـ سابقا ـ وزائير حالياً ، ودولة واحدة من جنوبى أفريقيا هى : ملاوى ، أونياسلاند سابقا .. وليس معنى هذا أن المحنة غير قائمة بالنسبة للأقليات المسلمة فى بقية الدول الأفريقية الأخرى ، لأن مخططات العدو تستهدف الإسلام : دعوة ونظاماً وشعوباً فى أية بقعة فى الأرض ، لا فى أفريقيا وحدها .

ويلاحظ أننى لم أمس من قريب أو بعيد الشيوعية ـ كمصدر من مصادر محنة الأقليات المسلمة ، لأن هذا شىء بدهى ، ولأن الشيوعية لا يتوقف عدوانها على الأقليات المسلمة ـ فحسب ـ بل حتى على الأكثريات المسلمة ، متى استطاعت أن تفرض نظامهاعلى الدولة ، كذلك يلاحظ أننى لم أبرز ـ كما ينبغى ـ دور الصهيونية ، لأنه لا فرق اليوم بين الصهيونية والصليبية ، فقد التحمتا جسداً وروحاً .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى :

أننا نسلط بعض الأضواء على محنة الأقليات المسلمة ،

بغض النظر عن مصدر المحنة ، والمخطط والممول لها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أيضاً .

فى مالاجاش : مستعمرة فرنسية سابقاً ـ مدغشقر ـ خامسة أكبر جزر العالم ، أهلها خليط من الأفريقيين والآسيويين ، وهى جزيرة فى المحيط الهندى فى جنوبى شرقى أفريقيا ، احتلتها فرنسا سنة ١٨٦٨ م حتى استقلت عام ١٩٦٠ م ويبلغ عدد سكانها اليوم أكثر من تسعة ملايين ونسبة المسلمين أكثر من الربع ، ونصف سكانها من الوثنيين كانت اللغة العربية هى السائدة ، وضعفت أمام زحف الهيئات التبشيرية الأوروبية ، وشاءحظ الجزيرة التعس أن تقع فى قبضة الشيوعيين وقد بدأوا باضطهاد المسلمين ، ولا ينسى لهم مذبحة ١٩٧٦ م فى مدينة ماجونجا مما اضطر الكثيرين من المسلمين إلى الفرار إلى جزر القمر .

ضربت مثلاً بمالاجاش ، لأشير إلى أن المحنة عامة بسائر الأقليات المسلمة فى الدول غير الإسلامية ، كل الأقليات تعانى من التحديات العقائدية التى تمارسها الإرساليات التبشيرية والتنصيرية ، وهى تملك كل الإمكانات المادية والأدبية والسياسية ، فى ظل الأنظمة ـ غير الإسلامية ـ علمانية كانت أم عقائدية بالاضافة إلى نفوذ القوى المعادية للإسلام : ـ صليبية كانت أم شيوعية أم صهيونية ـ بينما لا تملك

الأقليات المسلمة سوى النزر من الإمكانات الثقافية والمادية ، وهى تمارس نشاطها الإسلامى فى ظل العقيدة وحدها ، لأن الأمة المسلمة المعاصرة ، لا تتمتع بنفوذ سياسى ، يمكن أن يحسب له ـ ولو أدنى حساب .

ويجدر بنا أن نشير هنا مرة ثانية إلى :

أن الحديث عن محنة الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، لا يعنى أن الأكثريات المسلمة بعيدة عن المحنة ، وهذاما سنعرض له الآن (٩) .

● الأكثريات المسلمة .. والمحنة ●

شىء بدهى أن تتعرض الأقليات المسلمة للمحن ، ولكن الشىء غير الطبيعى أن تتعرض للمحن الأكثريات المسلمة ، لا لشىء إلا لأنها مغلوبة على أمرها ، باعتبار أن الأمة المسلمة فى غيبوبة عنها ،وباعتبار أن الأنظمة التى تحكمها أنظمة معادية للإسلام بطبيعتها .

وشىء بدهى أيضاً :

أن تتعرض الأقليات المسلمة للإبادة ، فى ظل نظام بلشفى أو صليبى أو حتى علمانى .. لكن أن تتعرض الأكثريات

---

(٩) المرجع السابق .

المسلمة لحروب الإبادة ، وفى القرن العشرين ، بل فى أواخره ، فهذا هو المثير للأسى .. وأذا كانت الأمة المسلمة المعاصرة عاجزة اليوم عن الجهاد والكفاح ، وإذا كان الضمير العالمى اليوم عاجز كذلك عن أن ينتصر للشعوب المغلوبة على أمرها ، لأن القوى الكبرى شرقية كانت أم غربية قد أصابت الضمير العالمى بالشلل ، وبخاصة إذا كانت الشعوب المعرضة للإبادة شعوباً مسلمة ولو شكلا .. فأى أمل يرجى ـ بعد ذلك ـ فى أن تقوم للأخوة الإنسانية قائمة .

وإذا كان موضوع الدراسة : محنة الأقليات المسلمة فى العالم فلسائل أن يسأل : وما شأن الأكثرية بموضوع الدراسة ؟

وأقول :

أولاً : لأن هذه الأكثرية أكثرية من حيث الكم ، ولكنها فى الواقع أقلية من حيث الكيف .. وما قيمة الكثرة بلا أهمية تذكر ؟

ثانيا : لأن التخطيط الصليبى لضرب الإسلام فى معاقله فى أفريقيا ، لا يستهدف الأقليات ـ فحسب ـ بل الأكثرية بنوع خاص . فقد لا يحتاج إلى جهد كبير فى احتواء الأقلية بأساليب واضحة ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير لمواجهة الأكثرية المسلمة واحتوائها .

ثالثاً : لأن موضوع الدراسة يستهدف أول ما يستهدف الكشف عن حقائق الأمور فى الصراع القائم بين الإسلام وأعدائه ،وهو صراع أيديولوچى فى المقام الأول ، وسياسى فى المقام الثانى ، وحضارى فى المقام الثالث ، والذى يدعو إلى الأسى المرير أن كل الإمكانات والظروف متاحة للقوى المعادية للإسلام ، وعلى العكس بالنسبة للإسلام .

وسوف نكتفى بضرب الأمثلة لأن مسألة الاستيعاب غير واردة فى دراسة محدودة ومحددة .

● ● ●

● فى دائرة أسد يهوذا ●

أسد يهوذا أو سبط يهوذا ، لقب كان يعتز به امبراطور الحبشة ـ هيلاسلاسى ـ الذى أطيح بعرشه عام ١٩٧٤ م ، واعتزازه بهذا اللقب هو من منطلق اعتزازه بأصله اليهودى ، ولم يكن مثيراً للعجب تعاونه العملى مع إسرائيل وفى عهده كانت الحبشة أولى دول أفريقيا ، التى فتحت الأبواب على مصاريعها للتسلل الصهيونى ، فى هيئة خبراء ومستشارين اقتصاديين وسياسيين ، وفى أثر العدوان الثلاثى : انجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر فى أواخر عام ١٩٥٦ م أرسل هيلاسلاسى إلى إسرائيل معونة تضمنت عشرات الألوف من رؤوس الماشية .

إن دائرة أسد يهوذا هى من أشرس دوائر المحن التى تحيط بالإسلام والمسلمين .. وليس معنى هذا أن المحنة بدأت مع اعتلاء هيلاسلاسى على عرش الحبشة فى الثانى من نوفمبر عام ١٩٣٠ م ، بل : لقد واجه الإسلام الحرب فى الحبشة على مسار خمسة قرون أو تزيد ـ من قبل ـ على أيدى أجداد هيلاسلاسى وحلفائهم من البرتغاليين والفرنسيين والطليان والإنجليز ، إلا أن ما واجهه الإسلام على يد أسد يهوذا يفوق فى بشاعته كل الذى ذاقه على مر القرون الماضية(١٠) .

ويقول الأستاذ عبد الله التل ـ رحمه الله ـ فى مؤلفه القيم : « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » ومع شىء من التصرف :

« كانت خطة هيلاسلاسى لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام فيما يلى :

١ ـ حرمان المسلمين من التعليم ، وتلقى الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن .

---

(١٠) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ـ لعبد الله التل المجاهد الأردنى ، وقائد معركة القدس فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، اتهم فى مصرع الملك عبد الله ، وحكم عليه غيابياً بالإعدام ، ولجأ إلى مصر واستقر بعد ذلك فى بيروت حتى توفى .. رحمه الله ..

٢ ـ مصادرة أموال المسلمين وأملاكهم بهدف إفقارهم .

٣ ـ هدم ما تبقى من مساجد المسلمين ، وإقامة الكنائس على أنقاضها .

٤ ـ تنصير أبناء المسلمين بالقوة ، ونشر الهيئات التبشيرية فى جميع المناطق الإسلامية ، وفرض تقديم العون المالى لها على المسلمين .

٥ ـ الفتك بالمسلمين وقتلهم فى مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة ، وتدمير قراهم وتشريدهم فى الجبال .

٦ ـ ابتلاع معاقل الإسلام المحيطة بالحبشة لسد الطريق أمام أية عملية لإنقاذ مسلمي الحبشة ، وبالتالى استئصال شأفة الإسلام نهائيا .

٧ ـ حرمان المسلمين من الاتصال الخارجى ـ العالم العربى الإسلامى ـ والحيلولة دون اتصال المسلمين من الخارج بمسلمى الحبشة .

٨ ـ حرمان المسلمين من وظائف الدولة برغم أنهم يمثلون ٦٠٪ من عدد سكان الحبشة فليس منهم وزير أو حاكم أو حتى ضابط بالجيش .

٩ ـ فرض الضرائب الباهظة على المسلمين ، والسماح للكنيسة بالتسلط على المسلمين ، ومصادرة أموالهم وأملاكهم لصالحها .

وأضيف هنا :

أولا : أن أسبد يهوذا فرض ضريبة خاصة على المسلمين ، تسمى .. ضريبة الكنائس .

ثانيا : عندما كان هيلاسلاسى فى أمريكا لحضور جلسات هيئة الأمم المتحدة ، سأله الصحفيون عن وضع المسلمين فى أثيوبيا ، وكان ذلك عام ١٩٦٠ م قال : « إن المسلمين فى أثيوبيا قلة دخلت الإسلام عن طريق التجار العرب ، وقريبا سيعودون إلى دين آبائهم وأجدادهم .. ونحن لن نسمح بأن يكون فى أثيوبيا دينان » .

ومن دواعى الأسى أن هيلاسلاسى زار مصر أثناء عودته إلى بلاده ، ولقى ترحيباً حاراً ، وكان فى انتظاره كتاب يوزع ، طبع فى مصر ومؤلفه أثيوبى مارق تخرج فى كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ، عنوان الكتاب : « عصر هيلاسلاسى الذهبى » .

ثم يعرض المؤلف بعض نماذج من أشهر المذابح التى نفذها هيلاسلاسى بالمسلمين ، واكتفى بسبعة نماذج ، كل نموذج منها أشرس من غيره ، وإن دل على شىء فإنما يدل على أن عداء هيلاسلاسى للإسلام يكشف عن حقد أسود دفين ، دفعه إلى ارتكاب أعمال وحشية لم يسبق لها مثيل حتى فى

أحط عصور الهمجية ، وليس هذا بغريب عليه ، وهو الذى يفخر بأنه من سلالة اليهود ، ويمتد نسبه إلى نبى الله سليمان عليه السلام .

ولسنا فى حاجة إلى المزيد من الكشف عن جرائم هيلاسلاسى ، لأن الطغمة الفاشية العسكرية التى استولت على السلطة بعده ـ فى عام ١٩٧٤ م ليست أقل شراسة من أسد يهوذا ، وليس حال المسلمين فى داخل أثيوبيا أو فى أريتريا ، أو فى أوجادين خيرا من حالهم أيام سبط يهوذا .

صحيح أنه يجب أن نعيش الحاضر ، ولا نجعل الماضى يطغى على الحاضر ولكن يجب أن لا ننسى أن واقع المسلمين اليوم فى الحبشة ليس إلا امتداداً للماضى ، ولكى يعرف هذا الجيل أن رواسب الحروب الصليبية القديمة كانت ولا تزال تعشعش فى أدمغة حكام الحبشة ، هذه الرواسب هى التى أفرخت فى صدورهم أحقاداً صليبية على الإسلام .. ولكى يعرف هذا الجيل المسلم المعاصر : الفرق بين روح الإسلام فى معاملة رعاياه من غير المسلمين ، وبين روح الصليبية فى معاملة الأقليات المسلمة التى تعيش فى بلادها .

لقد أصدر النجاشى يوحنا عام ١٨٨٢ م أمراً حازماً بتنصير جميع مسلمى الحبشة ، بلا استثناء أو يرحلون عن

البلاد .. وعلى هذا الأساس سار أسد يهوذا وأشد وأنكى والمثير للعجب من أسد يهوذا لم يتعظ بما حدث لعرشه ، حين غزت إيطاليا الحبشة وسيطرت عليها وأعلن ذلك رسميا فى ٩ مايو ١٩٣٦ ،وحيث طرد الامبراطور غير مأسوف عليه ، ليظل فى منفاه حتى ٥ مايو ١٩٤١ م ولولا الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا لظل أسد يهوذا فى منفاه حتى آخر لحظة فى حياته .

والحق : أن الشعب الأثيوبى بأسره تنفس الصعداء فى ظل الاحتلال الإيطالى ، الذى كشف عن جرائم أسد يهوذا ، كان يتظاهر بمحاربته للرق . بينما كشفت السلطات الإيطالية عن وجود قرابة نصف مليون من الرقيق ، وفى قصر الامبراطور ألفان من الرقيق .. بل ما هو أدهى وأمر ، أن السلطات الإيطالية ـ كما ذكرت نشرة « أحرار الحبشة » بالقاهرة ـ أفرجت من سجن مدينة هرر وحدها عن زهاء ثمانية آلاف سجين ، ظل بعضهم مقيد الرجلين واليدين على شكل قوس لأكثر من عشرين عاما .. فلما أفرج عنهم لم يعودوا إلى حالتهم الطبيعية ، إذ تشكل العمود الفقرى فى كل منهم بذلك الشكل المقوس ، أضف إلى ذلك المئات الذين لقوا حتفهم تحت أقبية السجون .

وانتهى الطاغية .. ولم تنته المحنة :

كنا نتوقع ـ واهمين ـ أن الامبراطور قد تلقى درساً من نفيه وتشريده ،ولكنه عاد أشرس مما كان عليه أخذ يتعقب الذين حررهم الطليان من سجونه ومعتقلاته .. كذلك كنا نتوقع ـ واهمين أيضا ـ أن بصيصا من الأمل سوف يتحقق على يد السلطة الجديدة التى أطاحت بأسد يهوذا وقوضت عرشه .. ولكن اتضح لنا أن الأباطرة الجدد قد ورثوا عن الامبراطور السابق كل طبائع الشر والاستبداد .

إن الذين استولوا على السلطة بعد هيلاسلاسى ، لم يكن هدفهم الإصلاح ، وإنما السلطة ولا شىء غير السلطة .. كان كل من أسد يهوذا والطغمة الفاشية التى أطاحت به ، يعتنق مذهب « ميكيافيللى » الغاية تبرر الوسيلة ، والغاية عند كليهما تدمير المسلمين وتصفية الإسلام فى الحبشة وما حولها ، بيد أن هناك فرقاً .. أسد يهوذا كان يعمل من منطلق العقيدة ، ليشبع شهوة التعصب ونزعة التسلط معا ، ومن ناحية أخرى لكى يظفر بالقبول لدى الصليبية الدولية والصهيونية العالمية ، أما الطغمة العسكرية الفاشية بقيادة منجستو ، فهى تعمل من منطلق المصالح الحيوية : الاستقرار من ناحية ، ولن يكون هناك استقرار مع وجود الإسلام والمسلمين ، ومن ناحية أخرى ، إرضاء أمريكا وروسيا معا .

ولاجدال فى أن أمريكا كانت صانعة الانقلاب العسكرى

الذى أطاح بعرش أسد يهوذا ، الذى أثبت فشله فى تصفية الإسلام والمسلمين ، وبخاصة فى معركته الأريترية ، وقد يسأل سائل : كيف تضحى أمريكا بصديق وحليف لها ، وعميل أولغ فى الإخلاص للغرب الصليبى ؟ وأقول : نفس السؤال وجه إلى مسئول كبير أمريكى ، على أثر الإطاحة بعرش الطاووس شاه إيران ، وكانت إجابة المسئول الأمريكى الكبير فى وزارة الخارجية :

« إن أمريكا لا يهمها سقوط الأصدقاء .. وإنما يهمها ـ فى المقام الأول : كيف تستفيد من سقوط الأصدقاء » .

وكان واضحاً أن أمريكا التى سحبت ثقتها فى أسد يهوذا ، خاب ظنها فى الطغمة العسكرية الجديدة ، وبالرغم من اتجاه منجستو إلى روسيا ، وجعل البلاد كلها قاعدة عسكرية للشيوعية وعملائها وحلفائها: ألمانيا الشرقية وكوبا وعدن وليبيا .. إلا أن أمريكا لم تتخل عنه ، ولا يزال الجسر الجوى الذى يربط أمريكا بأثيوبيا قائماً ، وكما لم تحتج أمريكا من قبل فى عهد أسد يهوذا على حرب الغازات السامة التى أهلكت الحرث والنسل فى أريتريا ، لا تحتج على هذه الطغمة العسكرية التى تشن حرب إبادة على شعب أريتريا بلا هوادة .

لقد أفرخت محنة الأكثرية المسلمة فى أثيوبيا مأساتين ، هما مأساة أريتريا الشهيدة ، ومأساة أوجادين الشهيدة أيضاً ، وكلتاهما تضم أكثرية مسلمة تصل إلى نسبة ٨٠٪ من عدد السكان ، والمأساة تمثل أبشع صور القرصنة على الأرض ، ولقد باركتها قوى الاستعمار من قبل ، وتباركها اليوم المحافل الدولية وفى مقدمتها هيئة الأمم ومجلس الأمن .

● أريتريا الشهيدة ●

كما لعبت أريتريا - المجاورة للحبشة والسودان - دوراً كبيراً فى انتشار الإسلام ، كانت - ولا تزال - موقعاً استراتيجياً مهما طمعت فى الاستيلاء عليها القوى الاستعمارية ، كما طمعت فيها الحبشة ، لا أملاً فى ثروتها ، وهى فقيرة فى هذا المجال ، ولكن لأن بقاءها دولة إسلامية ، يهدد أمن المسيحية - لا فى أثيوبيا وحدها - بل فى البلاد المسيحية المجاورة .

والمسرحية التى أدى فصولها الاستعمار الصليبى بإتقان فى مأساةفلسطين ، هى نفس المسرحية بالنسبة لأريتريا ، كان من سوء حظ فلسطين أن توضع تحت الانتداب البريطانى بتخطيط من المؤامرة الاستعمارية ، لتقدمها بريطانيا

ـ صانعة قرار وعد بلفور المشئوم ـ لقمة سائغة لآل صهيون ، كذلك كان من سوء حظ أريتريا أن توضع تحت الانتداب البريطانى ـ بعد جلاء إيطاليا عنها ، وهزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، لتقدمها بريطانيا بعد فترة وجيزة إلى أسد يهوذا لقمة سائغة .

وإذا كان قد عرف عن آل صهيون نقض العهود ، وتحديهم للرأى العام العالمى ، فإن أسد يهوذا كان أعتى وأنذل نقضاً للعهود ، وتحديا للرأى العام العالمى ، صحيح أن المؤامرة على الدولتين : فلسطين وأريتريا ، باركت الهيئات الدولية خطتها ونفاذها وثمارها .. ولكن أية غرابة فى ذلك ؟ أليست هذه الهيئات الدولية اللعبة المفضلة للقوى الكبرى ؟ وهل استطاعت الهيئات الدولية ـ ابتداء من عصبة الأمم ، وانتهاء بهيئة الأمم المتحدة ، أن تنصف شعباً من الشعوب ؟ ولسنا فى حاجة إلى أن نضرب بعض الأمثلة إلا من قبيل التذكير ، وحسبنا ما تمارسه من عربدة اسرائيل وجنوبى أفريقيا ، وهما تخرجان بتحد لسانيهما للرأى العام العالمى ، وليس ـ فحسب ـ لمجلس الأمن وهيئة الأمم ومحكمة العدل الدولية فى لاهاى .

إن حق استعمال « الفيتو » للدول الخمس الكبرى ، يمثل شرخاً عميقاً فى جدار المبنى الدولى ، قد لا تجعله هذه المهزلة

آيلاً للسقوط مبنى ، ولكنه سقط ـ فعلاً ـ معنى .. وأصبح وجود هذه الهيئات الدولية وعدمها سواء .. أصبحت مجرد ديكور فى بناء العالم الكبير ، وشبيه بهذه الهيئات الدولية ، المؤتمرات الدولية وشبه الدولية ، هى الأخرى ديكورات .. تصدر قرارات وتوصيات غير ملزمة .. تملك الإدانة أو التأييد على الورق ، ولا تملك حتى مجرد متابعة قراراتها وتوصياتها .

ولنعرض لمأساة أريتريا بلا رتوش :

لامانع هنا من أن نستعين بمؤلف الأستاذ عبد الله التل ـ رحمه الله ـ وهو : « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » مع شيء من التصرف :

إن أريتريا تقع على الشاطيء الغربى للبحر الأحمر ، وتعتبر من دول شرقى أفريقيا ، ولها حدود مع السودان والحبشة والصومال الفرنسي ويبلغ سكانها أكثرمن ثلاثة ملايين ، ونسبة المسلمين حوالى ٨٠٪ ظلت تابعة للدولة العثمانية منذ عام ١٥٧٧ م حتى ١٨٦٤ م حيث انتقلت إلى سلطة الدولة الخديوية المصرية ، ولم تمض سوى خمس وعشرين سنة حتى احتلتها ايطاليا ـ ١٨٨٩ م حتى عام ١٩٤١ م بعد هزيمتها مع المحور فى الحرب العالمية الثانية ، والحق أن فترة الحكم ـ على قصرها ـ كانت تمثل مرحلة ذهبية بالنسبة لأريتريا .

احتلت انجلترا أريتريا بعد رحيل ايطاليا ، وكان ذلك من سوء حظها ، لقد بدأ الأمل يراود أسد يهوذا .. فالفريسة أصبحت قاب قوسين أو أدنى ، تحول إلى قط شرس منتفخ الأوداج ، يستعد للالتهام .. ولكن الفريسة لا تزال فى قبضة الثعلب الإنجليزى ، ولن يسلمها إلى أسد يهوذا إلا بوسيلة مشروعة فى القانون الدولى العام ، وهيئة الأمم المتحدة ، فهى تمثل القابلة المتخصصة فى عمليات الولادة من سفاح .

لقد عرض الإنجليز مشكلة أريتريا ـ كما يقول التل ـ على الأمم المتحدة بدعوى الصعوبة التى تواجههم فى حلها ، ومنح أريتريا الاستقلال ، وفى أروقة الأمم المتحدة المسيّرة بإرادة اليهودية العالمية ، طبخ قرار يقضى بإنشاء حكومة أريتريا تتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية فى الشئون الداخلية متحدة مع أثيوبية فدراليا فى الشئون الخارجية والدفاع .. حدث ذلك خلافاً لإرادة الشعب الأريترى الذى فقد النصير فى أروقة الأمم المتحدة .

صدر القرار فى ديسمبر ١٩٥٠ م ولم يمض سوى عشرين شهراً فقد خلالها أسد يهوذا صبره على الفريسة ، وحان الوقت لافتراسها وما أن هل شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ م حتى فوجىء الشعب الأريترى بجيش أبرهة القرن العشرين بلا أفيال أغنت عنها الدبابات والمصفحات ، يحتل المعسكرات

التى كان يحتلها الجيش البريطانى وقد مضى زمن المعجزات فلم يجد فى انتظاره الطير الأبابيل التى ترميهم بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول .

ولم تمض سوى أسابيع معدودة ... حتى تحولت أريتريا - الدولة العربية المسلمة - إلى مديرية أثيوبية يحكمها ممثل الامبراطور بواسطة جيشه ، حكماً جائراً باسم قرار الأمم المتحدة ... بل .. ولم ينسحب الإنجليز من أريتريا إلا بعد أن اطمأنوا إلى أنها غدت مقاطعة حبشية تحكم بأبشع نظام على وجه الكرة الأرضية .

ولم يقف جشع أسد يهوذا عند هذا الحد ، بل قرر أن يضم أريتريا نهائياً إلى بلاده ، وفى سبيل تحقيق هدفه أقدم على :

أولاً : استولى - بالتواطؤ مع الإنجليز - على الممتلكات الإيطالية السابقة فى أريتريا ، مع أنها - قانوناً - من حق شعب أريتريا ، كذلك استولى على سائر المرافق الحيوية : الجمارك ، السكك الحديدية ، البرق والبريد .

ثانياً : فرض تطبيق القوانين الإقطاعية التى يستخدمها ضد الشعب فى أثيوبيا وبموجبها أنشئت محاكم غير

دستورية ، سميت بالمحاكم الفيدرالية ، ثم مارست من خلالها عمليات الإرهاب ، والزج بالمئات فى السجون .

ثالثاً : حل هيلا سلاسى الأحزاب الأريترية ، باستثناء الحزب الموالى له ، والمؤلف من بعض الرهبان والعمد البسطاء ، وعطل جريدة صوت أريتريا ، وكانت شكوى الشعب إلى هيئة الأمم عاملاً على زيادة الإرهاب والقمع .

رابعاً : طمس هيلا سلاسى شخصية أريتريا منتهكاً حرمة قرار هيئة الأمم ، وحرم تدريس اللغتين الرسميتين لأريتريا : العربية والتقرينية ، ومنع دخول الكتب العربية والمدرسين العرب إلى أريتريا .

- **وأخـــــيراً** :

قرر أسد يهوذا تسليم أريتريا لبنى قومه من يهود اسرائيل ، وليس هذا بغريب على سبط يهوذا ، وهو الذى فتح الأبواب لآل صهيون على مصاريعها ، وسفارة اسرائيل فى أديس أبابا أكبر سفارة أجنبية ، وإسرائيل فى عهد أسد يهوذا سيطرت تماما على الشئون العسكرية والاقتصادية والتعليمية ، وأصبحت أثيوبيا قاعدة لتمويل اسرائيل وتخفيف الضائقة الاقتصادية عنها ، وسهل أسد يهوذا لإسرائيل

التسلل إلى الدول الأفريقية حديثة الاستقلال النامية بحجة تقديم العون الاقتصادى وغيره ، وأسد يهوذا بلغت به الصفاقة أن يجعل من نفسه واعظاً يدعو إلى الهدوء والسكينة شعباً اغتيل كيانه ، واغتصبت أرضه ، فقد زار أريتريا لأول مرة ، بعد قرار الأمم المتحدة المشئوم فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢ م ، ومما قاله :

إن الإنسان لا ينال حقه بإراقة دماء الآخرين ، وباستعمال العنف .. لأن هناك طرقاً قانونية تضمن لكل إنسان حقوقه المشروعة .. فما على الشعب الآن إلا أن يخلد إلى الهدوء والسكينة .. وأن يبتعد عن كل ما يعكر صفو الأمن والطمأنينة فى البلاد .. ثم الاتجاه إلى مباشرة أعماله ومصالحه التى تعود على الوطن بالخير والبركة .. وعلى الأريتريين أن يتعاونوا مع الإدارة المحلية حتى تنتهى فترة الانتقال التى قررتها هيئة الأمم المتحدة . » .

هذا هو القس الواعظ على حقيقته ، الذى استعمل الغازات السامة فى أريتريا بعد ثورتها عليه ، فأهلكت الحرث والنسل والماشية ، واستعان بالخبراء من الموساد الإسرائيلى فى ابتكار وسائل جديدة فى الإرهاب والتعذيب والتنكيل المسلطة على مسلمى أريتريا والحبشة .

وفى نوفمبر ١٩٦٢ م ـ بعد انتهاء مدة فترة الانتقال ،

استطاع بالتواطؤ مع الجمعية التشريعية التى زيف انتخاباتها ، وعين أغلب أعضائها من العملاء والرهبان المتعصبين ، أن يجعل من أريتريا إحدى مديريات الحبشة ، ويومها أعلن أسد يهوذا وهو منتفخ الأوداج أنه :

« من الآن فصاعدا لن يكون هناك إلا أمة واحدة هى الحبشة .. ولن يكون هناك بعد وجود للاتحاد الذى فرضته الظروف .. والذى لا يريده أحد .

وهكذا استشهدت أريتريا التى كانت معقلاً إسلامياً عزيزاً .. لم تذرف من أجلها دموع حتى أقرب الناس إليها جواراً .. ولم يوار جسد الشهيد بعد .. لقد تحول إلى ذرات تطرق أسماع الأمة المسلمة ، وتداعب أبصارها ، وتناوش مشاعرها .. فإذا الآذان صم ، والأبصار عليها غشاوة ، والقلوب غلف ، والأحاسيس والمشاعر أصابها الجمود ، إنها الغيبوبة التى نعرف متى بدأتها الأمة المسلمة ، ولا نعرف متى تنتهى ، وقد طال عليها الأمد .

● ● ●

● أوجادين الفقيدة ●
أو الصومال الغربى

لا أظن أن الأمة المسلمة المعاصرة التى لا تزال تعيش

غيبوبتها ، لديها أية فكرة عن مأساة ـ أوجادين ـ أو الصومال الغربى ، وحتى مقررات التاريخ والجغرافيا على مدارسنا أو معاهدنا أو جامعاتنا لا تقدم دراسات مستوفاة عن قضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها وأزماتها .

وقبل أن نعرض لمأساة ـ أوجادين ـ يجدر بنا أن نشير إلى أن الاستعمار الغربى الصليبى ، كان وراء كل المصائب التى حلت بالأمة المسلمة فى آسيا وفى أفريقيا ، ونخص بالذات : الاستعمار البريطانى لأن له نصيب الأسد فى الصفحات السود بين دفتى تاريخنا .. ولا أعتقد أننا ننسى ما حيينا جريمته البشعة التى ارتكبها فى فلسطين أو فى أريتريا .. وبالنسبة للجنوب السودانى ، والأمثلة أكثر من أن تحصى .

ولنعرض لمأساة أوجادين ـ أو الصومال الغربى :

أوجادين جزء من الصومال الأم ، وتحد بأثيوبيا من الشمال والغرب ومن الشمال الشرقى بجيبوتى ، ومن الجنوب والشرق بجمهورية الصومال وكينيا وتتكون من ثلاث ولايات : هرر حوالى ثلاثة ملايين ، وولاية بالى أقل من مليون ، ثم ولاية سيدامو أكثر من ربع مليون ، ونسبة عدد المسلمين أكبر من ٨٠٪ وسكان هذا الإقليم من عناصر صومالية لحماً ودماً ، لذلك يعتبرونه امتداداً للصومال الأم دينا ولغة وتقاليد .

لقد قامت فى هذه المنطقة عدة إمارات إسلامية فى وقت مبكر ، وكانت الحرب سجالاً بين هذه الإمارات وملوك الحبشة وأباطرها ، ولكن لم يكد يحل عام ١٥٣٧ م حتى استطاع المسلمون بقيادة الإمام أحمد القرين أن يسيطروا على الحبشة ، ويطاردوا امبراطورها ، وظل طريداً حتى هلك عام ١٥٤٠ م .. ولقد ظل الإسلام يحرز النصر تلو النصر .. ولكن ظهر فى تلك الآونة الجناح الآخر من الخطر الصليبى ، ممثلاً فى الاستعمار البرتغالى ، فتعاون معه ملوك الحبشة الذين لم تنقطع صلاتهم بملوك أوروبا الصليبيين ، وفى عام ١٨٧٥ م دخلت مصر مع الحبشة فى حروب ، أحرزت فيها مصر النصر ، ولكن الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ م غير مجرى الأمور ، وقدر لتاريخ الحروب الصليبية أن يعيد نفسه ، ولا شك أن الاستعمار الصليبي كان الصورة الجديدة للحروب الصليبية القديمة .

وأصبح شرقى أفريقيا الذى يستوعب أكثرية مسلمة فريسة لأطماع الدول الاستعمارية ، والتقطت ركيزة الصليبية فى المنطقة أنفاسها ، أعنى الحبشة ، ولا سيما أن دولة آل سعيد فى زنجبار ، والتى كانت تهدد أباطرة الحبشة قد أصابها الوهن ، فانتهز الفرصة ـ منليك ـ امبراطور الحبشة ، فاستولى على ـ هرر ـ عاصمة أوجادين عام

١٨٨٧ م ، وبعد أن حقق هذا الامبراطور نصراً على الغزو الإيطالى عام ١٨٨٧ م استطاع الاستيلاء على الامارات الإسلامية الأخرى : سيدامو وبالى ، ومن قبلها إمارة أروسى الإسلامية .

وعندما هلك منليك خلفه على العرش عام ١٩١٣ م حفيده الامبراطور ليج ياسو ولكنه أعلن إسلامه وبدأ يعامل المسلمين معاملة حسنة ، ولم تدعه المؤامرة الصليبية يستقر فى منصبه الجديد ، وسنحت الفرصة فى عام ١٩١٤ م بداية الحرب العالمية الأولى .. لتتكاتف جهود الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا مع الكنيسة ، أو عزوا إلى بطريريك الأقباط فى مصر - باعتبار الكنيسة المصرية ترأس الكنيسة فى الحبشة - وإلى الأنبا متاؤوس مطران الحبشة ، بعزل الامبراطور ليج ياسو .. ونجحت الخطة ، فعزل وأودع السجن فى ٢٧ سبتمبر ١٩١٧ م وصارت الأمور إلى هيلا سلاسى بعد بعض المراحل وظل ياسو فى سجنه عشرين عاماً ، حيث توفى ، ويعتقد المراقبون الذين كانوا قريبين من الأحداث أن ياسو قتل فى سجنه بترتيب من الامبراطور هيلا سلاسى .

عاد هيلا سلاسى من منفاه عام ١٩٤١ م بعد رَحيل الإيطاليين ، وكان عقد معاهدة مع بريطانيا ، تضمنت أن تظل منطقة - أوجادين - وكانت تابعة للصومال الإيطالى قبل هزيمة

إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية - أن تظل تحت النفوذ البريطانى ، وحتى فى المعاهدة الإنجليزية الحبشية الجديدة بقيت أوجادين تابعة لبريطانيا ، وفى عام ١٩٤٨ م وصلت مقديشيو عاصمة الصومال لجنة من الحلفاء ، لتقصى الحقائق لمعرفة رغبة الشعب الصومالى فى تقرير مصيره .. وكانت النتيجة : إجماع الشعب هناك على أن يكون الصومال بما فى ذلك - منطقة الصومال الغربى - تحت رعاية دول الحلفاء الأربع ، لإدارة شئونه لمدة عشر سنوات ينال الصومال بعدها استقلاله . لذلك بادرت بريطانيا بتسليم منطقة أوجادين وكل الصومال الغربى ، وفى عام ١٩٥٤ م سحبت كل قواتها ، ليخلو الجو لأثيوبيا بعد توقيع معاهدة عام ١٩٥٥ م .

ونجحت المؤامرة الدنيئة .. وتحرك الشعب الصومالى - بعد استقلاله عام ١٩٦٤ م مطالباً بوحدة الصومال بما فيه أوجادين ، وقرر أسد يهوذا شن هجوم عسكرى على الصومال ، وتدخلت منظمة الوحدة الأفريقية لإيجاد حل سلمى ، وباءت الجهود بالفشل ، ويلاحظ أننا وضعنا مأساة أوجادين فى دائرة أسد يهوذا ، لأنه كان ضليعاً فى المؤامرة .

وتوقع شعب أوجادين أن يحدث تغيير فى سياسة أثيوبيا ، بعد أن أطيح بعرش أسد يهوذا عام ١٩٧٤ م ، وبدأت جبهة

تحرير الصومال الغربى تتوقف عن عملياتها لتعطى للنظام الجديد فرصة التفكير فى الحل السلمى ، ونسى الشعب الصومالى ومعه جبهة التحرير : أن الكفر ملة واحدة .. فقد مارس طغاة النظام الجديد العسكرى مجازر ومذابح فى الشعب ، وعندما استطاعت جبهة التحرير الصومالى أن تكبد القوات الأثيوبية هزائم ساحقة ، لجأ المجلس العسكرى إلى الاستعانة بروسيا وكوبا وألمانيا الشرقية ، وقتل عشرات الألوف من الأبرياء ، وعجزت جمهورية الصومال عن رد هجمات الجيش الأثيوبى ، الذى أخذ فى مطاردة المجاهدين فى قلب جمهورية الصومال ، التى اضطرت فى النهاية إلى سحب قواتها من أوجادين .

واليوم يعيش أكثر من مليون نسمة من سكان أوجادين لاجئين فى جمهورية الصومال وجيبوتى .. أفقر دولتين فى أفريقيا .. والضمير العالمى منح نفسه حيال هذه المأساة إجازة إلى أجلٍ غير مسمى .. والأمة المسلمة كتب عليها أن تعيش فى غيبوبة سرمدية .. وأمريكا التى تدعى اهتمامها بحقوق الإنسان ، يتجمد اهتمامها حين يكون الضحايا عرباً أو مسلمين .

ولم يكن مثيراً للعجب أن المعونات الدولية التى ذهبت إلى الحبشة بمناسبة الجفاف ، حرمت منها الطغمة العسكرية

الفاشية مناطق المسلمين ، على مرأى ومسمع من الدول التى أسهمت فى المعونة .. كان أسد يهوذا يعمل من منطلق التلمود وبروتوكلات صهيون .. وحلت محله الطغمة العسكرية الفاشية ، لتعمل من منطلق اللا ضمير واللا إنسانية ، وإن كانت شديدة الولاء ـ كذلك ـ لتلمود اليهود ، فهى أشد ولاء لتلمود لينين وستالين .

فى منتصف يونيو عام ١٩٨٥ م اعتقل اثنان وعشرون من علماء الدين هناك وفى يوليو من نفس العام نفذ فيهم حكم الإعدام .. نشرت هذا صحيفة الاتحاد التى تصدر فى أبى ظبى ، ولم تثر المأساة أو الجريمة العالم الإسلامى .

● ● ●

● فى دائرة القس نيريرى ●

كان القس نيريرى أوجوليوس نيريرى حاكما لتنجانيقا ، ومن المعروف أولاً : أن تنجانيقا وزنجبار ، كانتا القسم الأكبر من سلطنة آل سعيد الإسلامية فى شرقى أفريقيا ، والتى لعبت دوراً رئيسياً فى نشر الإسلام وتوطيد دعائمه ، وفى الربع الأخير من القرن الماضى ، تكالبت عليها القوى الاستعمارية الصليبية ، ممثلة فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، حيث تآمرت على اقتسام شرقى أفريقيا فيما بينهم .

فى عام ١٨٨٦ م وقعت ألمانيا وبريطانيا معاهدة لاقتسام المنطقة بينهما وكان نصيب ألمانيا تنجانيقا ، ونصيب الأسد لبريطانيا : كينيا وأوغندة والقسم الأكبر من الصومال ، أما فرنسا فرضيت بأن تطلق يدها فى جزيرة مدغشقر .

وعندما هزمت ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى آلت تنجانيقا إلى بريطانيا ، حيث وافقت عصبة الأمم على انتدابها عليها ، وظلت بريطانيا فى استيلائها على تنجانيقا أكثر من أربعين عاماً .. إلى أن استقلت عام ١٩٦١ م ، بعد أن نجح الاستعمار البريطانى فى أن يصنع على عينيه من الوطنيين أنفسهم ، عملاء أوفياء له ، يحققون سائر أهدافه ، دون أن يتكبد أعباء الاحتلال العسكرى ، أو السلطان السياسي .

ويعتبر القس جوليوس نيريرى ممثلاً لرأس الأفعى ، الذى اعتمد عليه النفوذ الصليبى والتسلط اليهودى معا ، لاغتيال دولة مسلمة هى زنجبار ، التى كانت منذ عهد غير بعيد مركزاً إسلامياً له قدره ، وله أثره ، ولم تكن تنجانيقا إلى جانبها شيئاً يذكر ، ولو لا تدخل الاستعمار الصليبى فى النصف الثانى من القرن الماضى ، لا تسع المد الإسلامى فى شرقى أفريقيا منطلقاً من زنجبار .

والقس نيريرى منذ توليه حكم تنجانيقا ، عمل على توسيع

رقعة التبشير فى البلاد ، ورقعة التغلغل الصهيونى ، كمحاولة منه لوقف المد الإسلامى فى شرقى أفريقيا ، وبرغم أن مسلمى تنجانيقا أكثرية بحسب التعداد الحقيقي ، وليس بحسب التعداد الذى يعتمد على مراجع غربية متأثرة بالتبشير الصليبى .. إلا أن هذه الكثرة عانت نفس ما عانته الأكثرية المسلمة فى أثيوبيا ، ويحاول القس نيريرى التظاهر بالتقدمية ، ولكن ثوبها الذى يرتديه هو كثوب الرياء الذى قال عنه الشاعر العربى :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فإذا التحفت به فإنك عار

● ● ●

● اغتيال زنجبار ●

إن كلمة زنجبار تتكون من مقطعين « زنج » وهى كلمة عربية تطلق على بعض السلالات الأفريقية ـ أطلقها العرب ـ و« بار » وهى الساحل ، وتعنى إذن كلمة زنجبار « ساحل الزنج » وتتكون زنجبار من جزيرتين كبيرتين هما : زنجبار وبمبا وبعض الجزر الصغيرة » ويبلغ عدد السكان أكثر من نصف مليون نسمة ، نصفهم من الشيرازيين ، وربعهم من العرب ، وربعهم الآخر من الأفريقيين .. ونسبة المسلمين أكثر من ٩٥٪ .

ولقد بدأت مرحلة من التحدى الشرس لمسلمى شرقى أفريقيا ، عندما ظهر البرتغاليون فى المحيط الهندى ، ابتداء من أوائل القرن العاشر الهجرى ، فاحتلوا جزيرة زنجبار وشرقى أفريقيا ودام الاحتلال زهاء قرنين من الزمان ، ولقد ناضل المسلمون الاستعمار البرتغالى ، وقاوموه ، وقدموا مئات الألوف من الضحايا والشهداء .. عندما تصدت عمان المسلمة لنفوذ البرتغاليين ، واستطاعت تقليص نفوذهم فى شرقى أفريقيا ، بدأت مرحلة من تاريخ الإسلام بالمنطقة ، كما بدأت نقطة تحول فى تاريخ شرقى أفريقيا ، بقيام سلطنة زنجبار فى عهد السلطان سعيد الذى نقل عاصمته من عمان إلى زنجبار ، وكان أن قامت أول دولة إسلامية آسيوية أفريقية ، وبدأ زحف الإسلام متوغلاً فى ربوع أفريقيا .

إن دولة الإسلام فى زنجبار بدأت تنعم بالاستقرار .. إلى أن ظهر الاستعمار الأوروبى الصليبى مرة أخرى فى المنطقة ، فقضى على دولة آل سعيد وكان نصيب تنجانيقا من ألمانيا ، ونصيب زنجبار من بريطانيا ، وهكذا سيطر الاستعمار الصليبي على الدولتين أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، حيث استقلت الأولى فى عام ١٩٦١ ، والأخرى فى عام ١٩٦٣ م .

استقلت زنجبار فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م ، وفى السادس عشر من الشهر ذاته ، قبلت عضواً فى هيئة الأمم المتحدة ، ولم تهنأ باستقلالها ، إلا شهراً واحداً ويومين اثنين ، إذ وقعت المأساة ـ مأساة اغتيالها فى الثانى عشر من يناير عام ١٩٦٤ ، فالمؤامرة الشرسة عليها ، كانت قد نسجت خيوطها ، وأحكمت خطة تنفيذها ، فى أروقة الصهيونية وبريطانيا ، وقام بالتنفيذ عملاؤها ، وعلى رأسهم القس جوليوس نيريرى حاكم تنجانيقا ، والخائن عبيد كرومى من زنجبار وهو من يهود الدونمة ، كشبيهه مصطفى كمال أتاتورك .

يعرض الأستاذ عبد الله التل فى مؤلفه : « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » لنكبة زنجبار فى إيجاز :

وقفت زنجبار فى عهدها الاستقلالى فى وجه التغلغل اليهودى فى أفريقيا وبذلك خالفت خطة جيرانها من الحكام فى دول أفريقيا الشرقية ، وعلى رأسهم القسيس جوليوس نيريرى حاكم تنجانيقا ، ونيريرى هذا يرتدى ثوب التقدمية ، ويعمل فى الوقت نفسه خادماً لليهودية العالمية التى تستغل عبيدها من الحاقدين على العروبة والإسلام ، واتضح موقف زنجبار الصريح المؤيد لقضية المسلمين الأولى ـ فلسطين ـ يوم

رفضت حكومتها استقبال جولدا مائير سنة ١٩٦٣ م حيث كانت تزور دول أفريقيا الشرقية .

وعندما شرعت الأفعى اليهودية فى نفث سمومها ، وتدبير مؤامراتها اهتدت إلى عميل يحمل اسماً إسلامياً هو عبيد كرومى ـ مع أنه يهودى دونمة ، وكلفته أن يتعاون مع نيريرى للقضاء على زنجبار الدولة المسلمة الفتية ، ورصدت إسرائيل الأموال اللازمة ، ووزعتها على نيريرى ووزير خارجيته ـ أوسكار كاميونا ـ وعدد من الضباط اليهود الذين يعملون فى معية نيريرى ، وبالطبع نال عبيد كرومى الخائن قسطاً من المال اليهودى ، وقد تعهد بتنفيذ الخطة الآثمة ، مستخدماً عنصريته الأفريقية الحاقدة على العرب ، ومستغلاً التهمة الباطلة ، التى تصف عرب زنجبار بالمستعمرين .

وحين تكون المؤامرة موجهة ضد الإسلام والمسلمين ـ كما يقول عبد الله التل ـ نجد تحالفاً طبيعاً بين اليهودية العالمية والقوى « التقدمية » : الشيوعية والاستعمار الغربى وتعاوناً وثيقاً بين هذه القوى لإنجاح المؤامرة .

وحدثت المذبحة البشعة :

دبرها الخائن عبيد كرومى بمساعدة نيريرى وضباطه من اليهود ، ضد العرب المسلمين فى ١٢ يناير ١٩٦٤ م ـ الأحد ـ

حيث فوجىء السكان بالهجوم الوحشى الغادر على الشوارع والمنازل والمتاجر ، متعقباً هذا الهجوم الوحشى كل عربى مسلم ، لا فرق بين الشيوخ والشباب ، والنساء والأطفال ، ولقد بلغ عدد الضحايا أكثر من عشرين ألفاً فى ساعات معدودة ، وكان أن خيم صمت العار على الأمة العربية والإسلامية .

ويذكر الأستاذ عبد الله التل فى مؤلفه :

إن الخائن اليهودى الأصل كرومى ، قد استولى على السلطة ، بعد مذبحة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الحديث .. الذى تبرز فيه الادعاءات عن الحرية والتقدمية ، والعدالة والمساواة .. وبعد تنفيذ هذه المذبحة البشعة اختفى ضباط نيريرى ، واكتفوا بتسليم مقاليد الأمور إلى خادمهم الأمين عبيد كرومى ، الذى شرع يقلد يهودياً من يهود دونمة ، خلد التاريخ المزيف بطولاته ومذابحه ضد المسلمين .. هو مصطفى كمال أتاتورك .. حيث أخذ كرومى فى إزالة الصبغة الإسلامية عن الجزيرة شيئاً فشيئاً .. ولكى يسند الخائن ظهره إلى قوة تضمن له الاستمرار والتمادى فى الإجرام والطغيان ، ضم زنجبار إلى تنجانيقا فى اتحاد ـ تنزانيا ـ ليصبح القسيس نيريرى رئيساً للاتحاد الذى قام بالقوة بلا إرادة من شعب الجزيرة فى ٢٦ / ٤ / ١٩٦٤ م.ترك نيريرى

لخادمه عبيد كرومى مطلق التصرف فى شئون زنجبار ، ليمعن فى إذلال الشعب المسلم ، ويحاول إبعاده عن أخلاقه وعاداته الإسلامية ، أملاً فى تحويله إلى الماركسية طالما أن تحويله إلى المسيحية يكاد يكون مستحيلاً .. وكما فعل أتاتورك بالمسلمات فى تركيا ، فعل الخائن بالمسلمات المحصنات فى زنجبار شجع على الإباحية والرذيلة .. حتى لقد أصدر مرسوماً يكره بموجبه الفتيات المسلمات على قبول الزواج من أى إنسان يتقدم إليهن دون النظر إلى جنسه ومعتقده .. وكل فتاة ترفض أوامر الخائن يزج بها إلى السجن مع ولى أمرها . (١١) ..

وأقول : لعل البعض من القراء يريد أن يعرف شيئاً من يهود دونمة ، وقد تكرر اللفظ فى هذه الدراسة ـ إن يهود دونمة كانوا أبرز الوسائل التى استخدمها اليهود فى هدم الخلافة الإسلامية .. انهم تظاهروا بالإسلام بعد عودتهم من أسبانيا ، حيث تجمعوا فى سلانيك ، وهم أتباع المسيح الدجال ـ سبتاى سيفى ـ الذى ادعى أنه المهدى المنتظر لتخليص اليهود وتسليمهم حكم العالم بعد إعادتهم إلى أرض الميعاد .. وحين ألقى القبض عليه تظاهر باعتناق الإسلام

---

(١١) انتقم الله من الخائن كرومى ، فى عام ١٩٧٢ م ، فقد اغتيل فى مقر الحزب ، ونفذ ضابط من أصل عربى الاغتيال ، وقد كان شقيقاً لإحدى زوجاته واسمه محمود على سيف .

لينجو من تنفيذ الحكم عليه بالإعدام ، وكان أن تبعه الكثيرون متظاهرين أيضاً باعتناق الإسلام ، ووصلوا إلى أعلى مناصب الدولة .

الحقيقة أن مأساة اغتيال زنجبار الدولة المسلمة العربية ، هى أكبر وأعمق من أن نعرض لها فى هذا الحيز المحدود .. ولكنا مضطرون فى نفس الوقت أن يعرف الشباب المسلم المعاصر أبعاد المآسى التى حلت بالمسلمين وكيف أن سائر القوى المعادية للإسلام ، صليبية كانت أم شيوعية ، أم صهيونية أم هندوكية أو بوذية ، تخطط معاً ، وتتآمر معاً لضرب الإسلام فى معاقله .

وهذه القوى المعادية للإسلام لم تلق السلاح بعد ، وليست مستعدة لأن تلقيه ، بل هى فى السنوات الأخيرة ، قد نجحت فى إضافة جديدة فى مخططاتها ، كانت من قبل تواجه الإسلام والمسلمين مواجهة صريحة بشىء من التفاعل مع رواسب الحروب الصليبية القديمة ، هذه الإضافة هى أن القوى المعادية تمكنت من أن تجعل المسلمين يفنون أنفسهم بأيديهم ، وهى تبيع معدات التدمير للجميع ، كما هو الشأن اليوم فى حرب الخليج ، وفى تشاد ، وأحياناً فى لبنان .

- وأعود فأقول :

إنه لا يمكن أن نمر مرور الكرام بأبعاد هذه المسألة ، التى

لم تتوقف عند حدود اغتيال دولة إسلامية عن طريق العنف ، وضمها عنوة إلى اتحاد زائف من صياغة القوى المعادية للإسلام وصناعتها وتنفيذها ، ولو أن المؤامرة قد توقفت عند هذا الحد ، لكان ذلك وصمة عار فى جبين الأمة العربية والإسلامية معاً ، لأن المذبحة استهدفت العرب المسلمين فى الجزيرة ، لكن الذى اتضح فيما بعد أن المؤامرة على زنجبار كان ضمن خطة مستقبلية ، فقد اغتيلت أريتريا فى نوفمبر عام ١٩٦٢م ـ كجس نبض لمشاعر الأمة العربية والأمة الإسلامية ، ولما تأكدوا أن هذه المشاعر قد استقرت فى قاع المحيط المتجمد الشمالى ، وقاع المحيط المتجمد الجنوبى ، قرروا اغتيال زنجبار ، بعد عام واحد ، وبضعة أسابيع .. والهدف الرئيسى هو فرض حصار شديد حول الإسلام فى شرقى أفريقيا ، تشترك فى هذا الحصار مع تنزانيا : أثيوبيا وكينيا وأوغندا ، قبل عيدى أمين وبعده ، ثم جنوبى السودان حيث السيطرة للمسيحية برغم أنهم لا يمثلون ـ أى المسيحيين ـ أكثر من خمسة فى المائة .

لقد تحولت الأغلبية المسلمة اليوم ٩٥٪ إلى أقلية معنى ومضموناً بسبب السياسة العلمانية التى تتبعها تنزانيا ، برغم أن هذه السياسة لا تنعكس على الأقلية المسيحية الضئيلة ٥٪ .

إن إمكانات البعثات التبشيرية التنصيرية المتفوقة فى زنجبار جعلت من الأقلية الضئيلة ذات شأن مثير ، فقد أصبح لكل مائة مسيحى كنيسة ، وفى دولة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ .

ونحن لا ننسى دور الكنيسة التى خططت ، ولا الصهيونية التى اشتركت اشتراكاً فعلياً فى المذبحة ، ولا بريطانيا ، لقد عمد رئيس شرطة زنجبار البريطانى إلى تسريح الضباط الوطنيين فى عطلة نهاية الأسبوع ، وأخفى مفاتيح مخازن السلاح .. وهكذا ـ كما يقول الدكتور مصطفى مؤمن فى كتابه : « قسمات العالم الإسلامى » كان التدبير المبيت لأحداث الإنقلاب .

أجل :

نحن لم ننس ـ ولن ننسى ـ هذا كله ـ وما خفى كان أعظم .. ولكن يجب ألا ننسى أن حكم سلطان زنجبار الذى هرب بنفسه ، ولجأ إلى سفينة بريطانية كانت فى انتظاره وأقلته إلى لندن .. يتحمل النصيب الأوفى من وزر المأساة ، فمن ناحية ترك السلطان الحبل على الغارب لبعثات التبشير والتنصير المسيحية ـ ومن ناحية أخرى ، جعل من نفسه لعبة فى أيدى البريطانيين ، دون أن يوثق صلاته بالعالم الإسلامى الخارجى ، أو على الأقل بجيرانه فى شرقى أفريقيا .. كان همه

أن يكون سلطاناً ، لأن السلطة فى رأيه تشريف وليست تكليفاً .

● ● ●

● وخاتمة المطاف ●

قبل أن نترك أفريقيا إلى آسيا ، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند المحاط الرئيسية التى لا يمكن المرور بها دون توقف :

أولاً : أن أفريقيا تعتبر قارة إسلامية من حيث الكم ـ بالطبع ـ لا من حيث الكيف ،

ومن هنا ، تتحرك نحوها ثلاثة محاور ، كل محور منها يحاول أن يصبغها بصبغته العقائدية أو الأيديولوجية ، ولكل من هذه المحاور وسيلتان : الأولى رئيسية هى : النفوذ سياسياً كان أم اقتصادياً ، والأخرى هى : الفكر عقائدياً كان أم أيديولوجياً ، وهناك وسيلة ثانوية هى : العمالة .

- **المحور الأول** : التبشير : لحساب الصليبية .
- **المحور الثانى** : إسرائيل : لحساب الصهيونية .
- **المحور الثالث** : روسيا : لحساب الشيوعية .

التبشير : لم يعد تبشيراً بالمعنى المتبادر إلى الذهن ـ أى التبشير السلمى الذى يناقش بالرأى ، ولم يعد مجاله

الطبيعى البيئات الوثنية فى أغوار أفريقيا ، بل أصبح تحدياً سافراً للإسلام ، ومحاولات جادة لتنصير المسلمين ، ومخططات التبشير أو التنصير تزعم أنها حددت زمناً معيناً لتصبح قارة أفريقيا قارة مسيحية ، بينما المسيحية الآن لا تزيد على ٢٠٪ وزمناً معيناً لتحويل أندونيسيا أكبر دولة مسلمة إلى دولة مسيحية ، بينما لا تمثل المسيحية فيها أكثر من ١٪ ، وسائر الإرساليات أو البعثات المسيحية فى أفريقيا على صلة وثيقة بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ، وأمريكا ودول أوروبا الغربية ، وفى الآونة الأخيرة قام بابا الفاتيكان بزيارة إلى بعض دول أفريقيا ، وكانت كينيا هى الهدف ليشهد ـ قداسته ـ تعميد المسلمين الذين تنصروا .

وإسرائيل : تتحرك فى أفريقيا بخطى سريعة ، واستطاعت أن تقيم علاقات دبلوماسية وثقافية واقتصادية مع العديد من دول أفريقيا السوداء ، ومنها عدد من الدول المسلمة ، وذلك فى ظل الرعاية والحماية والضغوط الأمريكية ، وليس التغلغل الصهيونى فى أفريقيا طارئاً ، لأنه بدأ دراسة وتخطيطاً قبل قيام إسرائيل ، وبدأ تطبيقاً وتنفيذاً بعد قيامها .. قبل عام ١٩٥٢م لم يكن فى نيجيريا ذات الأغلبية المسلمة يهودى واحد ، ولم يأت عام الاستقلال ١٩٦٠م حتى كان الخبراء

اليهود يملأون شوارع العاصمة ـ لاجوس ـ وتكاد إسرائيل تسيطر على اقتصاد نيجيريا ، ولم يفطن لذلك أحد .

والأفعى اليهودية فى أفريقيا تعمل جنباً إلى جنب مع الاستعمار ، بكل ما يملك من نفوذ ، وكما لعب الاثنان دوراً فى نيجيريا ، حيث مهدا لاختيار أول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال عام ١٩٦٠م مسيحياً هو الدكتور أزيكو بحجة أنه المثقف الوحيد الجدير بهذا المنصب ، لعبا نفس الدور فى تشاد والسنغال ، مع تغير الوجه الاستعماری ، فهناك كان الاستعمار الإنجليزى ، وهنا كان الاستعمار الفرنسى .. والدولتان تستوعبان أكثرية مسلمة ، وبنفس الحجة السابقة ، حدث إثر استقلالهما عام ١٩٦٠م أن عين فى تشاد أول رئيس للجمهورية قسيس نشأ فى مدارس اللاهوت هو : فرانسوا تومبالباى ، وفى السنغال قسيس آخر هو سنجور .

والهدف الذى كان الاثنان معاً : الاستعمار والصهيونية ـ يسعيان لتحقيقه ، هو أن يحل التغلغل الصهيونى محل النفوذ الاستعماری ، وهما فى سبيل تحقيق هذا الهدف كانا مستعدين لارتكاب أخس الجرائم بأخس الأساليب ، وحسبنا أن نشير إشارة عابرة إلى ما حدث فى نيجيريا فى الخامس عشر من يناير ١٩٦٦م ، هذه الإشارة العابرة نستخلصها من كتاب « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » .

المعروف أن نيجيريا يتألف اتحادها من أقاليم ثلاثة : الإقليم الشمالى وفيه المسلمون أغلبية ساحقة ، وزعيمه البطل أحمدو بيللو ، والإقليم الشرقى والمسيحيون فيه أغلبية بزعامة الدكتور أزيكو الذى جعله الاستعمار والصهيونية أول رئيس للجمهورية ، ثم الإقليم الغربى ، وهو خليط من المسلمين والمسيحيين والوثنيين .. ولما كانت زعامة أحمدو بيللو ذات خطورة ، فقد تقرر الخلاص منه ونجحوا بوسائلهم القذرة حتى قيل : إن إسرائيل أنفقت مليونين من الجنيهات الاسترلينية على المؤامرة فى عام ١٩٦٦م ، وحينما استنفد اليهود كل محاولات الإغراء والتهديد والتآمر لزحزحة البطل عن موقفه الإسلامى الشجاع . لجأوا إلى سلاح الاغتيال القذر ، واستأجروا ضباطاً مسيحيين من الإقليم الشرقى ، ونفذوا مؤامرتهم البشعة التى ضاع ضحيتها البطل وأسرته ، ورئيس الحكومة الفيدرالية ـ الحاج أبو بكر تفاوباليوا ـ وبعض أقطاب المسلمين السياسيين والعسكريين .

والصفاقة الإنجليزية شىء يعرفه تاريخهم ، فقد نشرت الأهرام فى ١٩/١/١٩٦٦ ـ أى بعد المذبحة بأربعة أيام ـ ما جاء على لسان النائب البريطانى اليهودى ـ برنارد فلور ـ وكان يزور نيجيريا أيام المذبحة قال : إن الهدف من العملية . هو التخلص من أحمدو بيللو » ..

روسيا : الدب الأحمر بدأ زحفه إلى أفريقيا عملياً ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لقد سبقه إليها الاستعمار الغربى الصليبى بمراحل كثيرة من الزمن ، وعليه أن يعوض ما فاته .. وهو لا يبغى مجرد الدخول فى صراع أيديولوجى مع الرأسمالية الغربية - فحسب - بل يهدف إلى تحقيق السيطرة والنفوذ السياسى من أجل إشباع نزعته ، فهو يعطى ، أكثر مما يأخذ على عكس الاستعمار الغربى الذى كان ولا يزال - يأخذ أكثر مما يعطى لقد قدر له أن ينهب ثروات أفريقيا ، ويفتح فيها أسواقاً شاسعة لاقتصادياته ، والدليل على ذلك - مثلاً - أن الدب الروسى اليوم يسيطر سيطرة كاملة على اليمن الجنوبية ، وعلى أثيوبيا المقابلة على البحر الأحمر ، وكلتا الدولتين من الفاقة بمكان .. ولكن حسبه أن يجعل من عدن منطلقاً له إلى الجزيرة العربية ، ومن أديس أبابا منطلقاً له إلى شرقى أفريقيا .

ويعتمد الدب الأحمر على العملاء كثيراً ليكون له مد أفقى ، لأن شعاراته لم تعد تنطلى على أحد ، وحتى تحقيق العدل الاجتماعى - وهو أكثر الشعارات تواضعاً لم يحدث ، والدليل على ذلك أن دول العالم الثالث التى لجأت إلى النظام الاشتراكى ، تزداد فاقة على فاقة ، وأن امتيازات ذوى السلطة فيها تفوق حد الخيال .. لذلك لوح الدب الأحمر

لعملائه بالوصول إلى السلطة على أن تظل شعارات الأيديولوجيات قائمة ، والذى تابع الأحداث الأخيرة التى جرت فى أوائل هذا العام فى دولة عربية ماركسية ، بين الرفاق من أجل النزاع على السلطة ، يتأكد له أن السلطة هى الهدف الأول والأخير ، والشعب وحده هو الذى يدفع الثمن ، فقد ذهبت التقارير إلى أن عدد الذين قتلوا فى النزاع المسلح بين الرفاق ، بلغ أكثر من عشرين ألفاً .

وليس معنى هذا أن مسألة العمالة غير واردة فى مخططات الغرب الصليبى ، لأن أمريكا وحدها ـ بمخابراتها المركزية ، تكاد تغطى بالعمالة معظم دول العالم بأنظمة الحكم فيها ، لكن أمريكا تختار عملاءها من الصفوة وليس من الرعاع كما هو الشأن فى الشرق الشيوعى ، ولقد قرأنا ـ ونحن نتابع الأحداث الدموية ـ فى دولة عربية ماركسية ، ـ والتى أشرت إليها ـ أن طاهيا كان يعمل بالسفارة الروسية أصبح ـ بقدرة قادر ـ مديراً للأمن العام ، وهذا راجع إلى أن أمريكا تهتم بالمد الرأسى أكثر من اهتمامها بالمد الأفقى ، وعلى العكس روسيا .

ثانياً : أن أفريقيا المسلمة لا تزال بكراً .. وبخاصة فى المجال الفكرى الإسلامى وأعنى بالفكر هنا : الفكر العقائدى والسياسى معاً الذى يكون كفؤاً لمواجهة التحديات ، كذلك

أعنى بأفريقيا .. أفريقيا السوداء ، وهذا الحكم لا ينطبق على الدول ذات الأقليات المسلمة وحدها ، بل يشمل الدول ذات ـ الأكثريات المسلمة أيضاً .

وبالنسبة للتحديات نترك جانب التحديات السياسية التى يمارسها النفوذ الأجنبى شرقية وغربية معا ، وبخاصة العقلية الأمريكية التى ارتدت إلى عهد الحروب الصليبية ، والعقلية الروسية التى ارتدت هى الأخرى إلى عهد التتار .. ولنكتف بالحديث الموجز عن التحديات الأيديولوجية .. ونحن نخطىء حين نحصر التحديات الأجنبية فى الثالوث البغيض : التبشير المسيحى ، والفكر الماركسى ، والفكر الصهيونى ، ونتجاهل الماسونية والقاديانية والعلمانية .

والفكر الإسلامى فى أصالته : ليس عاجزاً بذاته عن المواجهة والمقاومة ، وإنما نحن المسئولون عن ذلك .. نحن المتهمون بالقصور والتقصير معاً ، ولاشك فى أن بناء المساجد ، وفتح المدارس والكتاتيب ، قد تؤدى دوراً ، ولكن الذى لاشك فيه أيضاً أن هذا الدور ليس هو الدور المنشود ، ما لم نحسن توظيف هذه المنشآت ، عن طريق خطة سليمة ومنهج قويم ، ودعاة يحملون فكراً إسلامياً أصيلاً ، ويتقنون توظيف هذا الفكر الأصيل .

إن القوى المعادية للإسلام كالصليبية والماركسية والصهيونية ، أو المناهضة له كالماسونية والقاديـانية والعلمانية ، الأولى تستهدف تقويض البناء الإسلامى ، والأخرى تستهدف تجميد المضمون الإسلامى ، لكى تسود أفكارها هى ، إذن ـ فنحن إزاء خطر مزدوج على الإسلام فى أفريقيا ، والجهل بأبعاد هذا الخطر مصيبة ، وتجاهله يجعل المصيبة أعظم .

ويجب أن ندرك أن عنصرى التحدى : الإسلام من ناحية وخصومه من ناحية أخرى ، ليسا متكافئين ، فى مقومات التحدى ، وبخاصة فى الجانبين المادى والسياسى ، فالأموال التى تغدق على المؤسسات المعادية تصل إلى مئات الأضعاف للأموال التى تنفق على المؤسسات الإسلامية ، ثم إن معظم الأنظمة علمانية عملاً .. وقولاً ، وبقية الأنظمة التى ترفع شعار الإسلام ، هى علمانية عملاً وسلوكاً .. وهذه هى الحقيقة وإن كانت مريرة .

ثالثاً : إن اهتمامنا بمحنة الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، لا يجعلنا ننسى أن المحنة تعم الأكثريات المسلمة أيضاً ، وخطورة هذه المحنة الأخيرة ، أنها تجعل الدول الإسلامية القادرة على العطاء مشغولة بهمومها ، مقطوعة الصلة بغيرها ، وحتى بعض الدول الخالية من الهموم بشكل نسبى ،

فإنها لا تملك إرادتها ما دامت مضطرة إلى أن تمديدها إلى الشرق أو الغرب ، تتسول لديها الدعم المادى أو الأدبى أو السياسى .

ثم إن القوى المعادية للإسلام ، تخطط بذكاء حتى تحول دون أدنى استقرار للدول المسلمة ، وعلى سبيل المثال : السودان ، الدولة المسلمة المتاخمة ، فقد استقراره ابتداء من حكم نميرى العشرى فى عام ١٩٦٩ م ، وكذلك الشأن فى ليبيا منذحكم القذافى ، السودان عجز تماماً عن مساندة أريتريا سواء فى عهد أسد يهوذا ، أم فى عهد الطاغية الفاشى منجستو ، وزاد الطين بلة ، أن الاستعمار خلق للسودان مشكلة الجنوب ، وبرغم أن المسيحية قلة لا تذكر ، فى جنوبى السودان ، دون عدد المسلمين لأن الأغلبية لا تزال وثنية ، إلا أن الإسلام لم يجد فى السودان أى عون له حتى من أقرب الدول المسلمة إليه ، أعنى شمال أفريقيا ، بينما وجدت المسيحية كل عون من أثيوبيا وكينيا وأوغندا ـ ماعدا فترة عيدى أمين ، بل ما هو أدهى وأمر : أن هناك تحالفاً عسكرياً ثلاثياً بين أثيوبيا وليبيا واليمن الجنوبية .

ونيجيريا التى تتمتع بأغلبية ساحقة مسلمة ، وذات المائة مليون اليوم ، لا تتمتع إلا باستقرار نسبى ، قد يتلاشى نهائياً ليواجه مفاجآت العواصف بسبب القلة المسيحية فى الإقليم

الشرقى ، ووراءها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ونفوذ أمريكا وأوروبا الغربية ، وقد وردت الأخبار أخيراً أن الطغمة المسيحية تعارض فى انضمام نيجيريا إلى المؤتمر الإسلامى ، وبينما لا ترى الكثرة المسلمة شيئاً فى زيارة بابا الفاتيكان لنيجيريا ، وتمتعض القلة المسيحية لمجرد التفكير فى دعوة شيخ الأزهر لنيجيريا .

وفى المغرب العربى ، استطاعت مخططات القوى المعادية ، أن تحدث شرخاً ، حيث ظهرت على السطح مشكلة الصحراء الغربية ، وسكان هذه الصحراء حوالى خمسة وسبعين ألفاً وكلهم مسلمون ١٠٠٪ بينما سكان دولة المغرب زهاء عشرين مليوناً ، ونسبة المسلمين أكثر من ٩٥٪ سكان الصحراء مصرون على إقامة دولة مستقلة لهم ، ونحن لا ننحاز إلى هؤلاء ولا إلى أولئك .

بل ، ولا نحاول أن نبحث جذور المشكلة ، سواء أكان الحق مع سكان الصحراء فى إصرارهم على إقامتهم دولة ، أم أنها شهوة السلطة لدى القادة .. ولكن الذى يحز فى النفس أن

المسألة أصبحت مساومة ، فالجزائر تساند بسكان الصحراء وليبيا تخضع لمزاج زعيمها الأوحد ، إذا رضى عن المغرب وقف إلى جانبه ، وإذا لم يرض كان عليه .

ويبقى السؤال الذى يفرض نفسه علينا ؟

أين الجامعة العربية ، وأين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟

ولا أعتقد أن أعصابنا تحتمل الإجابة عن السؤال .

ثم ماذا ؟

لقد قررت الفاتيكان أن تحول أفريقيا المسلمة إلى أفريقيا المسيحية فى نهاية هذا القرن ، فماذا قررنا نحن الأمة المسلمة ذات المليار أو يزيد ؟ ومثل هذا السؤال لا محل له قبل أن نسأل : هل الأمة المسلمة المعاصرة ـ لديها القدرة على اتخاذ القرار ، أو حتى التفكير فى اتخاذ القرار ؟

●●●

فى آسيا

« محاربة الإسلام تدخل ضمن المعركة الشاملة التى تدور رحاها على أعنف صورة فى عالمنا المعاصر »

د . حسين مؤنس

● **تمهيد :**

فى مجلة الهلال القاهرية ، كتب الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة مقالات تحت عنوان : « الإسلام فى خطر » وخص محنة الإسلام فى آسيا بمقال ضاف أشار فيه إلى أن الإسلام يقوم اليوم على قاعدتين أساسيتين : قاعدة آسيوية وأخرى أفريقية ، والقاعدة الآسيوية هى الأضخم ، لأن أعداد المسلمين الآسيويين تكوّن صلب الكتلة الإسلامية فى العالم . إنها تمثل ثلثى أعداد المسلمين فى الدنيا .. فإذا ضممنا إليهم مسلمى أفريقيا وجدنا أن المسلمين خمس سكان الأرض .

نسبة لا بأس بها .. لكنها بعيدة جداً عما ينبغى أن يكون من وجهة النظر الإسلامية الصرفة : أن يكون أهل الأرض كلهم مسلمين .. لأن واجب الجماعة الإسلامية هو أن تواصل المغازى حتى يصير الدين كله لله .. ولكن المسلمين قصروا تقصيراً فى حق الإسلام لا يقوم لهم فيه عذر .. وهانحن ـ أولاً ـ اليوم نمثل خمس سكان هذا الكوكب .. بل نحن نشهد تراجع الإسلام دون أن نتحرك .

ولو تركنا الأمر على هذه الحال ، فسنصبح سبع سكان الأرض ، ثم تقل نسبتنا فى النقص مع الزمن .. وذلك ـ كما يقول الكاتب ـ لأن عوامل محاربة الإسلام اليوم أقوى مما كانت عليه فى أى وقت مضى ، لأن الإسلام عقيدة وثقافة .. فمحاربة الإسلام تدخل ضمن المعركة الثقافية التى تدور رحاها فى أعنف صورة فى عالمنا الراهن .

كذلك يشير الكاتب إلى حقيقة نحاول نحن تجاهلها ، وهى أن الغرب اليوم يبذل أقصى جهده لكسب المعركة الثقافية ، لأن ثقافته إذا سادت إقليماً لم تلبث شخصية ذلك الإقليم أن تتلاشى فى شخصية الغرب ويصبح فى عداد توابعه .

والمقال جدير بالاستيعاب والاهتمام بأبعاده ، وسوف نعود إليه .

---

* المقال : كتب فى مجلة الهلال ـ عدد نوفمبر ١٩٧٧م .

● أضواء على المحنة في آسيا ●

يبلغ عدد الأقليات المسلمة في آسيا حوالي مائتين وسبعين مليوناً ، يمثل نسبة تساوي ١٢٪ من عدد سكان الدول ، التي تستوعب هذه الأقليات ، وأكبر الأقليات المسلمة توجد في الصين حيث يبلغ عدد المسلمين أكثر من مائة مليون أكثر من ١٠٪ ثم في الهند أكثر من ثمانين مليون ١٢٪ ، ثم في الاتحاد السوفييتي أكثر من خمسين مليوناً حوالي ١٩٪ .

ف أفريقيا محاور ثلاثة يعمل الأعداء في إطارها ضد الإسلام عقيدة وشعوباً ، هي : الصليبية والشيوعية ، ثم الصهيونية ، وتعتبر هذه المحاور محاور رئيسية . أما في آسيا ، فيضاف محوران : الهندوكية والبوذية ، وكما أن الهندوكية تعمل بشراسة في الهند ضد الإسلام ، وضد المسلمين ، فكذلك تعمل البوذية بشراسة أشد في تايلاند وبورما ، والرأي العام الإسلامي ، لا يكاد يعلم شيئاً يذكر عن نشاط البوذية والهندوكية ضد الإسلام والمسلمين .

ونحن ليس من حقنا أن نلوم الإعلام الغربي أو الشرقي ، إذا هو أسهم في التعمية ، مع أنه قلما يفعل ذلك .. ونحن كذلك لا نلوم الإعلام الإسلامي ، لأنه غير موجود ، ولومنا عندئذ يكون موجهاً إلى العدم ، وأخيراً ـ وليس آخراً ـ لا نلوم

الإعلام الداخلي في الأمة المسلمة ، متهمين إياه بالقصور والتقصير معاً ، لأنه تابع وليس بمتبوع ، وهو يعمل وفق هوى الأنظمة الحاكمة ، التي تتمتع بحساسية خاصة تحفظ بها مصالحها جهد استطاعتها ، ومثل هذا الاعلام ـ وهذا شأنه ـ لا يمكن أن يعبر عن إرادة مستقلة ورأي حر .

إن وجود رأي إسلامي عالمي تدب فيه الحياة أمر لا غنى عنه ، لأنه طرف ممثل في محنة الأقليات المسلمة بوجه خاص ، وفي محنة الإسلام ذاته ، بوجه عام ولكن هذا مرهون بوجود رأي عام تدب فيه الحياة ، ونحن انما نخدع أنفسنا لو أننا تصورنا وجوده في الأمة المسلمة المعاصرة ، وهذه حقيقة لا سبيل إلى انكارها وإن كانت مريرة .

ونحن نتفق مع أستاذنا الدكتور حسين مؤنس في أن الصراع بين الإسلام وخصومه قائم في كل مكان ولن يتوقف ، ما ظل الإسلام ينبض بالحياة ، كذلك نتفق مع أستاذنا في أن الصراع ثقافي حضاري .

ولكنا نعتقد أن للصراع السياسي مكاناً كذلك ، سواء أكان الصراع الثقافي الحضاري في خدمة السياسة ، أو كان الصراع السياسي في خدمة الثقافة والحضارة ، لأن نجاح كلا الصراعين ، يؤدي إلى بسط السيطرة والنفوذ .

وإذا كان الدكتور يرى : أن الصراع بين العالمين : الرأسمالي والاشتراكي ـ في صميمه ـ صراع ثقافي ، فالرأسمالية : سياسة وأسلوب حياة وثقافة ، والاشتراكية بشتى أنواعها ـ من التطرف الشيوعي إلى الاعتدال الاشتراكي ـ سياسة وأسلوب حياة وثقافة .. فإن هذا لا يستوعب كل الصراع القائم بين الإسلام وأعدائه جميعاً من خلال الدوائر الخمس التي تتركز فيها العداوة في آسيا : الصليبية والماركسية والصهيونية والبوذية والهندوكية ..

والأخيرتان لا وجود لهما في أفريقيا ، وإن كانت هناك مجرد ومضات من الهندوكية من خلال وجود جاليات هندية في بعض دول أفريقيا الشرقية .

إن الصراع فى كل من آسيا وأفريقيا صراع سياسى وثقافى وحضاري ، وأعنى بالثقافة هنا الثقافة الدينية العقائدية ، أي أن الثقافة هنا مرتبطة بالدين ، وأما الحضارة فقد تنشأ في أمة ما بلا دين ، انها نتاج الفكر البشري .. فالتبشير الصليبي مثلا في أفريقيا وآسيا تحركه العقيدة وهو في نفس الوقت يمهد للسياسة التي هي الاستيلاء على مقدرات الإسلام : عقيدة ونظاماً وشعوباً ، ثم بسط النفوذ .

والحروب الصليبية :

لقد حركتها العقيدة أساساً ولكنها استهدفت السطوة على ديار الإسلام وبسط النفوذ السياسي عليها ، ومن السذاجة أن نأخذ بآراء بعض أدعياء فلسفة التاريخ ، الذين ينفون عن الحروب الصليبية سمة الدين .. حروب تنطلق من البابوية في روما التي باركتها وشجعت عليها ، ولم تكن تستهدف انقاذ القدس إلا ظاهرا لتستنفر الجهود ، وتشحذ الهمم ، ولكنها في الحقيقة كانت تستهدف هدفاً أكبر ، ولك أن تستمع إلى قائلهم ، وهو غاردنر : « إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس .. إنها كانت لتدمير الإسلام » .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى : أن الهجمات الاستعمارية فى القرنين الأخيرين على ديار الإسلام لم تكن إلا امتداداً للحروب الصليبية فى القرون الخالية ، والتى ردها على أعقابها ناكصة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى ، ولعل عبارة القائد البريطانى الصليبى ، والتى قالها إثر استيلائه على القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية » والكلمات التى قالها الجنرال الفرنسى الصليبى عندما انتصر فى ميسلون خارج دمشق ، حيث توجه من فوره إلى قبر

صلاح الدين الأيوبى عند الجامع الأموى ، وركله بقدمه وقال : « ها قد عدنا ياصلاح الدين .. »(١١) .

لعل كلمات اللورد البريطاني ـ اللنبي ـ والجنرال الفرنسي ـ غورو ـ ماتزال ترن في مسامع الأمة المسلمة ، إن كانت مسامعها لا يزال فيها بقية من خير .

لقد هنأ لويد جورج وزير خارجية بريطانيا ـ يومئذ ـ إللنبى ـ في البرلمان الانجليزي ، لانتصاره في آخر حملة من الحروب الصليبية ، والتي سماها لويد جورج : الحرب الصليبية الثامنة .

ويقول باترسون سمث في كتابه : حياة المسيح الشعبية :

« باءت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك ، حينما بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، ففازت هذه المرة .. إن حملة اللنبى على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الثامنة والأخيرة(١٢) .

ولا داعى للاطراد هنا ، غير أنه من الضروري أن نشير إلى أنه في أفريقيا ، بدأت المواجهة العقائدية بين الإسلام والمسيحية ، وفي صورة الإرساليات التبشيرية التنصيرية ، والتي مهدت السبيل إلى التدخل السياسي في صورة الاستعمار

---

(١١) القومية والغزو الفكرى ـ « قادة الغرب يقولون » جلال العالم .

(١٢) مجلة الطليعة القاهرية عدد ديسمبر ١٩٦٦م .

المزود بالقوة العسكرية ، ليكون سنداً للتبشير وعوناً له على أداء مهمته ، وهذا ما حدث في آسيا ـ التبشير يسبق الاستعمار ، ثم يأتي الاستعمار لكي يكون ظلا للتبشير ، وقد لوحظ أن التبشير ينشط في الدول ذات الأقلية المسلمة ، وفي الدول ذات الأكثرية المسلمة فى ظل أنظمة خاوية ، كما هو الشأن في أندونيسيا ، أو الدول التي تحكمها أنظمة غير إسلامية برغم الأكثرية المسلمة .

ونعود من حيث بدأنا :

إن مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس . يعرض لمأساة الإسلام في آسيا ـ ككل ـ وأعتقد أن محنة الإسلام ككل لا تنفصم عن محنة الأقليات المسلمة ، لأن الإسلام دين ودولة معاً ، يؤثر فى أجزائه إيجاباً وسلباً ، والتاريخ يشهد بأن الخلافة الإسلامية إبان قوتها ، لم يكن هناك ما يسمى بمحنة الأقليات المسلمة ، وبعد وهن الخلافة ثم زوالها بدأت محنة الأقليات المسلمة تؤدي دورها وبشراهة وشراسة .

لذلك اقتضى منهج الدكتور الذي يعرض لمأساة الإسلام في آسيا ـ ككل ـ أن يقسم كتلة الإسلام في آسيا إلى خمس مجموعات كبرى :

الأولى : العربية وتشمل جزيرة العرب ، والشام كله ـ

بأقسامه الأربعة : سوريا ولبنان ، والأردن وفلسطين ـ ثم العراق .

الثانية : الإيرانية وتشمل ايران .

الثالثة : التركية المغولية ، وتشمل : أفغانستان ، وبلاد ما وراء النهر ، وما يقع شمالها ، وكلها بلاد وشعوب ، استولت عليها روسيا وأدخلتها في نطاقها السياسي والفكري .

الرابعة : هي الهندية ، وتشمل : كل مسلمي شبه القارة الهندية ، وجزيرة سيريلانكا ، وجزر مالديف .

الخامسة : هي وحدة جنوب وجنوبي شرقي آسيا ، وتشمل : المسلمين في بورما وتايلاند ، وكمبوديا ولاوس ، وفيتنام وماليزيا ، وأندونيسيا والفلبين .

وهذا تقسيم جغرافي للإسلام في آسيا ، قصد منه أستاذنا أن يجعل المسألة قريبة إلى أذهان القارىء المسلم ، وما أكثر المسلمين الذين يعيشون في التيه ، ولا يعرفون شيئاً عن جغرافية الأمة المسلمة ـ أقصد العالم الإسلامي ، لأن إصرارنا على كلمة « أمة » إصرار لا محل له من الإعراب ـ اليوم ، كما يقول النحاة ، إذ أن كلمة « أمة » تعنى وحدة العقيدة ووحدة الهدف أو على الأقل : وحدة المشاعر والأحاسيس ، ولا أظن شيئاً من هذه ينطبق على عالمنا الإسلامي المعاصر .

ومن خلال هذا التقسيم الجغرافي عرض الدكتور حسين مؤنس لمحنة الإسلام ، أو محنة الإسلام في آسيا ، ونحن هنا نلتقط معالم المحنة في ايجاز ، وسوف نضطر فيما بعد إلى الاستعانة بشيء من التفاصيل . إن شاء الله تعالى .

يقول أستاذنا عن الدائرة الأولى إنها بخير ، وهي المجموعة العربية الآسيوية التي تضم الجزيرة العربية والشام والعراق ، لأنها تعتمد أساساً على جزيرة العرب ـ مهد الإسلام ـ ولا تزال إلى يومنا هذا نقطة ارتكاز رئيسية للإسلام اليوم ، ولكن نكبة إسرائيل دكت في كيان الشام وتدأ خطراً يهدد الإسلام .. لأن نوايا إسرائيل السيئة تستهدف الإسلام أصلاً .. ونحن نرى كيف أن وجود هذا الكيان الدخيل في صميم أرض الشام ، إنما يستنزف جانباً ضخماً من الطاقات العربية والإسلامية كلها .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن الإسلام في فلسطين والأرض المحتلة في خطر ، ومعنى ذلك : أن الإسلام في المجموعة الأولى من مجموعات الإسلام الآسيوي في خطر .. ويكفي أن نذكر : أن الخطر الصهيوني على الإسلام ، يشبه الخطر الصليبي الذي استهدف كيان الإسلام الذي ابتدأ من نهاية القرن الحادي عشر الميلادي « ١٠٩٧ م » ولم يطمئن العالم الإسلامي على مصيره ، إلا بعد أن انكسرت الموجة الصليبية

انكساراً حاسماً سنة ١١٨٧ م في حطين .. على يد صلاح الدين .. بل ولم يطمئن الإسلام على سلامته نهائياً إلا بعد استيلاء الصالح ـ السلطان المملوكي ـ على آخِر معاقل الصليبيين سنة ١٢٩١ م .

ويعرض أستاذنا للمجموعة الثانية ـ الإيرانية ـ ويشير إلى أنه في عصور الاضمحلال ، استولت روسيا على أجزاء ضخمة من أراضي المجموعة الإسلامية الإيرانية . اقتطعت نصف إقليم أذربيجان ،ومعظم اقليم خوارزم ، وجزءاً من إقليم خراسان .. وقد أنشأت من تلك الأجزاء التي اقتطعتها مراكز للدعوة الشيوعية ، لتحارب الإسلام .. بل إن روسيا أخذت في زرع خلايا شيوعية في إيران وما جاورها : أفغانستان والباكستان ، وغيرهما ، تحاول إثارة الخواطر والنفوس .

أما عن المجموعة الثالثة : التركية المغولية :

فيرى الدكتور ـ ونحن معه ـ أن الإسلام خسر فيها معركة من أكبر معاركه ، ولا يزال يخسر ـ مع الأسف .. ويقول : إننا نحزن على الأندلس ، نؤلف الكتب في مأساة الأندلس ، وخسارتنا في الأندلس أقل بقليل من خسائرنا على الجبهة التركية .. ففي القرن الخامس عشر كانت كل البلاد الواقعة شمالي ايران في نواحي ماوراء النهر أراض إسلامية ، ومساحتها تعدل مساحة الأندلس » .

أعتقد أن الكاتب لا يعنى التهوين من مأساة الأندلس .

وأما عن المجموعة الرابعة : الإسلام في شبه القارة الهندية :

فيرى أن الاستعمار الانجليزي في القرن السابع عشر الميلادي ، كان العامل الأساسي في مأساة الإسلام هناك ، حيث قام بأخس الأدوار في الكيد للإسلام والمسلمين الذين هم تصدوا له « أعان الهندوس عليهم ، حتى اضطر المسلمون إلى المطالبة بالتقسيم إثر خروج الانجليز عام ١٩٤٧ م برغم أن هذا التقسيم لم يكن في صالح الإسلام .

وبقيت المجموعة الأخيرة : جنوبي شرقي آسيا :

يقول الدكتور : لقد كنا نفخر بأندونيسيا لأنها أكبر دولة مسلمة عدداً ومساحة على وجه الأرض .. لكن أندونيسيا اليوم لا تتبع السياسة الإسلامية ، وقد أصبحت الآن في قبضة الارساليات التبشيرية .

وأخيراً يتساءل كاتبنا في أسى :

- أأيقاظ نحن أم نيام ؟
- إن الإسلام في الدنيا في خطر .
- الإسلام في الدنيا يتراجع .

صرخات من أعماق مسلم خالص الإيمان صادق الاسلام .

وهل لمثل هذه الصرخات المؤمنة صدى ، لقد سبقتها صرخات

ولحقتها صرخات ، تبلغ أجواز الفضاء مروراً بالأرض التي لا تسمع ولا تجيب .

تلك كانت تقسيمات أستاذنا الدكتور حسين مؤنس ، وهي تتفق مع منهجه في البحث الذي يبحث مأساة الإسلام - ككل - في آسيا ، أما خطتنا نحن في هذه الدراسة المتواضعة ، فتبحث محنة الأقليات المسلمة في آسيا مع ضرورة الإشارة إلى نقطتين أساسيتين :

الأولى : أنه لا يمكن الفصل بين محنة الإسلام ككل ، ومحنته كجزء ، لأن مخططات الأعداء هي ملاحقة الإسلام في كل مكان .

الثانية : في آسيا - كما في أفريقيا - هناك أكثريات مسلمة باعتبار الكم - ولكنها أقليات من حيث الكيف ، كما هو الشأن في ألبانيا ، والأقاليم الإسلامية التي اغتصبتها روسيا من إيران وغيرها ، والأقاليم التي استولت عليها الصين الشيوعية .

إذن ونحن نعرض لمحنة الأقليات المسلمة ، يجب أن ندرك أن هناك أقليات لفظاً ومعنى ، وهناك أقليات معنى - فحسب - لكنها أكثريات لفظاً في واقع الأمر ، ومحنتها أنكى وأشد .

في أفريقيا اعتبرنا محاور المحنة تعمل في دائرتين تنتسبان إلى الأشخاص أطلقت على الأولى : دائرة أسد يهوذا -

هيلاسلاسى امبراطور الحبشة السابق ، كما أطلقت على الأخرى دائرة القس نيريري ، رئيس تنزانيا الذي تخلى عن الحكم طواعية منذ شهور ، إلا أنه لا يزال مسيطراً على مقدرات البلاد . واختياري لهاتين الشخصيتين .. لأنهما قاما بالقسط الأوفى في صنع المحنة في شرقي أفريقيا .

أسد يهوذا :

ابتلع دولتين مسلمتين ، هما أريتريا ، وأوجادين ، سقطت الدولتان المسلمتان شهيدتين ، دون أن تذرف دمعة مسلمة واحدة عليهما .

القس نيريرى :

ابتلع دولة زنجبار العربية المسلمة عنوة ، وعندما سقطت شهيدة ، كانت الأمة المسلمة تستمرىء الغيبوبة التي تعيش فيها .

ولكن الوضع في آسيا يختلف :

فالمحنة لا تعمل من خلال الأشخاص ، بل من خلال العقائد ، والأيديولوجيات ، وفي أفريقيا بدأ نشر الأفكار ـ في صورة التبشير ـ لتمهد للسيطرة والنفوذ ، ثم في صورة الماركسية لتوسيع نطاقها في أفريقيا . وقد يسأل سائل :

وماذا عن الصهيونية في أفريقيا ؟

لماذا لم توضع في دائرة خاصة شأنها شأن المسيحية ، بينما خصصت لها دائرة في آسيا ؟

وأقول :

لم نتجاهل الصهيونية في أفريقيا إهمالاً لدورها ، ولكن هذا الدور ليس دوراً مباشراً مائة في المائة ، لقد تسللت في غفلة من زمن الأمة العربية والإسلامية ، لتعمل في سائر الدوائر ، في ظل الحماية الأمريكية والنفوذ الأوروبى ، وبرغم ما تملكه الصهيونية من الخبرة والمال .. إلا أنه ما كانت تستطيع أن تحقق ما حققته إلا في ظل أمريكا والغرب الأوروبي ، وسائر الأنظمة التي تقع تحت مظلة النفوذ الأمريكي ، والتي لا تعمل وفق ما تريد هي ، وإنما وفق ما تريده أمريكا .

أما في آسيا فللصهيونية وضع آخر ، حسبها أن لها دولة ، ولا يهم أن دولتها ولدت من سفاح ، وقامت على أرض مغتصبة ، فهذا كله لا يغير من الواقع المرير شيئاً .

صحيح ـ كما يقول الأستاذ عبد الله التل ـ رحمه الله : إن الجسد الصهيوني قائم في فلسطين ، ولكن رأس الأفعى تسعى في كل شبر من المعمورة ، وبرغم ذلك فهي تنطلق من فلسطين من آسيا ، وابتلعت أرضاً وشعباً في آسيا ، وتحتل الجولان السورى ، والجنوب اللبناني في آسيا ، وتآمرت على الخلافة الإسلامية ومركزها الرئيسي في آسيا .

وربما تساءل متسائل آخر :
لماذا نسيت حزب البعث ؟
ألم يكن له ضلع في المحنة ؟
والحقيقة أن حزب البعث له في أفريقيا مجرد بصمات في مناطق محدودة ، منها على سبيل المثال : أوساط الفصائل الأريترية ، وفي السودان ، والأمر يختلف بالنسبة لآسيا حيث يفرض البعث وجوده في دولتين عربيتين ، هما : سوريا والعراق ، وله بعض الوجود في دول عربية أخرى .

وبقى أن نقول :
لقد اخترت دوائر خمساً ، تمارس المحنة ـ محنة الأقليات المسلمة ـ من خلالها وهي :

* دائرة الصليبية
* دائرة الشيوعية
* دائرة الصهيونية
* دائرة الهندوكية
* دائرة البوذية .

فإلى الدائرة الأولى

● في دائرة الصليبية ●

كان لابد أن أبدأ بهذه الدائرة لسببين رئيسيين :

الأول : لأنها تنتمى ـ بحكم الظاهر والخفى ـ إلى دين سماوى معترف به لدى الإسلام نفسه ، ولا تضمر الأمة المسلمة لأتباعه ذرة واحدة من الشر ، ويوم أن كانت الدولة الإسلامية تعيش عصرها الذهبى ، كانت الأقليات من أهل الكتاب تعيش فى كنفها ، فى مضمون العدل لافى شكله ، والحق سبحانه حين يقول فى محكم كتابه : (... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...) فإن لفظ الناس فى الآية الكريمة مطلق يشمل الجميع على أساس من الإنسانية والآدمية التى كرمها الله عزوجل ، هذه السماحة من الإسلام تقابل اليوم من المسيحية بالعكس ، فهى تضع يدها فى يد أعداء الإسلام والمسيحية ، بل وأعداء الإنسانية والبشرية .

الثانى : أن أمريكا تعمل ـ على استحياء ـ فى أفريقيا ، ضد الإسلام ، فى مجال دعم الإرساليات التبشيرية ، إذا استثنينا سفورها فى مساندة أسد يهوذا لتصفية الإسلام فى أريتريا ، فقد أنشأت جسراً جوياً بينها وبين أديس أبابا لتيسير مهمة وصول الإمدادات .. أما فى آسيا ، فإن أمريكا تعتبر عنصراً أساسياً فى صناعة المحنة ، بعد أن خلعت برقع

الحياء ، وكشفت عن وجهها القبيح ، والأحداث الجارية فى لبنان ، والإرساليات التبشيرية التنصيرية فى أندونيسيا ، والتى زكمت رائحتها النتنة الأنوف ، لا نحتاج مع تلك وهذه إلى دليل .

إذا نحن تمسكنا بظاهر اللفظ بالنسبة للأقليات المسلمة فى مواجهة المسيحية ، فإن اختيارنا للأقليات المسلمة فى الفلبين ، هو النموذج الأمثل للمحنة ، لأنه فى الفلبين يجتمع على الأقلية المسلمة هناك الفكر والسيف معاً . يمثل الفكر إرساليات التبشير والتنصير ، ويمثل السيف الجيش الرسمى ، والفكر والسيف معا يسعيان لتحقيق تصفية الوجود الإسلامى واقعاً عن طريق القوة ومعنى عن طريق التبشير .

وهذا لا يجعلنا نتغاضى عن محنة الأكثرية عدداً ، الأقلية موضوعاً ، ويقع اختيارنا لنموذجين : أندونيسيا حيث يواجه الإسلام الفكر الصليبى تمارسه الإرساليات فى صورة هجمات شرسة ، ولبنان حيث يواجه الإسلام السيف ، وفى أندونيسيا يلعب الغرب دوراً رئيسياً ، وفى لبنان الغرب وإسرائيل معا .

وبالطبع لا يمكن أن ننسى دور الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى فى كلتا الجبهتين ، الا أنهما معا يعملان فى أندونيسيا بوضوح : يفكران ويخططان ويقدمان وسائل التنفيذ ، ويشرفان على مسارها ، أما فى لبنان ، فإنهما يعملان من خلف

الستار ، وعلى شيء من الاستحياء : تفكيراً وتخطيطاً ، وإذا كانت القوى المعادية تتوقع نجاح مشروع العشرين سنة ، لكى تصبح أندونيسيا دولة مسيحية بعد أن كانت دولة بل أكبر دولة إسلامية ، فإن مرجع ذلك إلى اطمئنانها إلى نظام أندونيسيا العسكرى ، الذى يضمن لها بلوغ الهدف ، والشعب أعزل ، وعاجز عن تحدى قوات الجيش ، والعكس فى لبنان .. فالحرب الأهلية الدائرة فى لبنان منذ سنوات ، أخلت بالتفكير والتخطيط ، وسائر الموازين الأخرى .

● فى الفلبين ●

تقع الفلبين فى الشرق الأقصى ، وفى المحيط الهادى .. أرخبيل يتكون من ٧١٠٠ جزيرة ، ويبلغ عدد السكان زهاء خمسين مليونا ، ويصل عدد المسلمين إلى أكثر من خمسة ملايين ، ويطلق على الجماعات المسلمة « المورو » وينتشرون فى ثلاث عشرة ولاية فى الجنوب والغرب .. وقد وصل الإسلام مبكراً نسبياً فى أواخر القرن السادس الهجرى .

وكان الغزو الأسبانى عام ١٥٢١م :

فوجد إمارات إسلامية فى جزر الفلبين ، أشهرها إمارة الشريف أبى بكر فى صولو ، وإمارة الشريف محمد بن على فى

مندنا ، ولقد بدأ غزو الأسبان للفلبين فى صورة من مجموع سفن الكشوف الجغرافية بقيادة الرحالة « ماجلان » قدم الأسبان يحملون فى أحشائهم حقد الصليبية على الإسلام . أول دين سماوى يخترق حصار الوثنية فى الفلبين ، لأن الإسلام وصل إلى الفلبين عام ١٣٨٠م ، بينما بدأت الكاثوليكية تضع أقدامها على يد ماجلان بعد عام ١٥٢١م أى بعد قرن ونصف من الزمان ، وهذا يؤكد أن الإسلام فى الفلبين هو الأصل .

لقد توالت حملات الأسبان على الفلبين بعد مصرع ماجلان على يد بطل مسلم ، وبرغم ماكان يملكه الأسبان الغزاة من قوة واستسلام سائر المناطق التى زحفوا إليها .. إلا أن جزر الجنوب المسلم قد استعصى على جميع المحاولات الذى بذلها الأسبان لغزوها .

أجل : لقد صمد المسلمون من سكان هذه الجزر صموداً بطولياً ، جعل الأسبان ييأسون نهائياً من السيطرة على المناطق الإسلامية فى الفلبين .. ولذلك انصرفوا إلى المناطق الأخرى يوطدون بها سلطانهم ، ويبشرون فيها بالكاثوليكية ، فقد كان الاستعمار والتبشير يسيران جنباً إلى جنب[١٣] .

---

(١٣) الفلبين ـ محمد يوسف عدس ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ١٩٦٩ م .

ويلاحظ دائماً أن التبشـير المسيحى كان يسبق الاستعمار ، ممهداً له ، فإذا تمكن الاستعمار أصبح ظلا للتبشير ، ولكن ما حدث فى الفلبين ، كان التبشير يسير مع الاستعمار خطوة خطوة ، كان فى إحدى يدى ـ ماجلان ـ المكتشف الأسبانى الإنجيل ، ويحمل السيف فى الأخرى ، وبالوعد والوعيد أو بسيف المعز وذهبه ، مكَّن ماجلان للكاثوليكية أن تطأ أقدامها أرض الفلبين .

وجاء دور أمريكا :

ظل الاستعمار الأسبانى حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ويعتبر أطول استعمار فى التاريخ ، إذ مكثت قواته فى الجزر الفلبينية ٣٧٧ سنة ، كانت أمريكا قد فرغت من القضاء على النفوذ الأسبانى فى أمريكا الجنوبية . وكان أن يممت وجهها شطر الشرق الأقصى ، للقضاء على النفوذ الأوروبى ـ وكعادة أمريكا أخفت مطامعها وارتدت رداء المخلص الذى يأخذ بيد الشعوب المغلوبة ، لجأت إلى الثوار من أهل البلاد تستعين بهم على طرد الأسبان .. وفى نفس الوقت كانت تفاوض أسبانيا فى باريس ، على شراء الجزر الفلبينية منها مقابل خمسة ملايين من الدولارات ، وفى عام ١٨٩٨م سقطت مانيللا واستولت أمريكا على مقاليد الأمور .

وعندما افتضح أمر أمريكا ، عادت الثورة الفلبينية تمارس نشاطها ضد الغزاة الجدد ، إلا أن الفارق الشاسع بين القوتين كان كبيراً ، وفى عام ١٩٠١م استقر الأمر نهائياً لأمريكا ، وقامت أول حكومة مدنية برئاسة أحد القادة الأمريكان الذين أسهموا فى توطيد أقدام أمريكا فى البلاد ، لكن فى عام ١٩٤١م احتلت اليابان الفلبين بعد أن دمرت الأسطول الأمريكى فى ـ بيرل هاربر ـ ولم يستسلم الشعب الفلبينى لليابان ، الذين لم يجلوا عن البلاد إلا بعد أن ألقت أمريكا القنبلة الذرية الأولى على ـ هيروشيما ـ ثم الثانية على ـ نجازاكى ـ .

وبعد أن استقلت الفلبين عام ١٩٤٦م

يقول مؤلف كتاب « الفلبين » :

« ولاشك أن بقاء مسلمى الفلبين إلى اليوم ، يعتبر فى حد ذاته معجزة فريدة فى تاريخ الفلبين ، فقد تعرضوا لحرب إبادة ، تميزت بالعنف والوحشية ، دون مراعاة لأى تقاليد حربية أو إنسانية .. فقد كان القضاء على الخصم ومحوه ، هو الهدف الأكبر ، مهما تكن بشاعة الوسائل التى تحققه » .

ويضيف المؤلف :

« ومما يثير الدهشة حقا : أن التاريخ الفلبينى المدون ، لم ينظر إلى هذه المقاومة الباسلة للمسلمين فى وجه الاستعمار الأسبانى ، باعتبارها جزءاً من رصيد البطولات التاريخية لأبناء الفلبين ، بل نظر إليها على أنها من أعمال القرصنة ، واعتبر شهداء المسلمين الذين سقطوا فى معارك الحرية قراصنة لا أبطالا يفخر بهم الوطن ، ويرجع ذلك إلى الكتب الأسبانية التى أجمعت على وصف مسلمى الفلبين بهذه الأوصاف .

وأقول : لاشك أن الاستعمار الأسبانى ترك بصماته ، وأنه كان حريصاً على إيجاد فجوة بين المسلمين والمسيحيين ، وكان أمرأ بدهياً أن الاحتلال الأمريكى ، الذى لبث بقواته جاثماً على صدر الفلبين زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم حل نفوذه السياسى والاقتصادى محل قواته العسكرية ، قد سار على نفس النهج ، حريصا على أن يظل المسلمون متخلفين ..

وصرخات فى واد :

لم يعد مجهولا أن الكاثوليكية فى الفلبين تشن حرب إبادة شرسة لا هوادة فيها ضد سبعة ملايين مسلم أو يزيدون ، برغم أن الإسلام قد استقر فى الفلبين سلميا قبل الكاثوليكية

التى دخلت البلاد بقوة المدفع والسيف مع الاستعمار الأسبانى زهاء قرن ونصف قرن ، وصارت اليوم حاكما مستبداً ، تؤازرها أمريكا زعيمة الصليبية فى العصر الحديث ، وأصوات المجازر البشرية فى مسلمى الفلبين يطرب لسماعها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى .. أما صرخات الضحايا بعشرات الألوف ، فليست إلا صرخات فى واد ، إنها تطرق أسماع الأمة المسلمة فترد خائبة لأن بآذانها صمما ، وكان الله فى عون جبهة تحرير مورو الإسلامية ، إنها تسعى إلى سائر المحافل الدولية ، وتشترك فى سائر المؤتمرات الإسلامية ، فلا الأولى تستجيب ، ولا الأخرى تسمع .

فى نشرة ـ معهد شئون الأقليات المسلمة ـ فى جدة بالسعودية صدرت عام ١٩٨٠م أن جبهة تحرير « مورو » قد تكونت لتخوض غمار حرب صليبية بعيدة المدى ، طويلة الأمد ، وبدأ التحدى الصليبى بشن هجمات إبادة شاملة جماعية على المسلمين الفلبينيين ـ كما جاء فى عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان ، اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح مالا يقل عن مائة ألف مسلم ، وشردت نصف مليون ، واغتصبت عليون هكتار من أرض المسلمين ، وحرقت المساجد والمدارس والمنازل . وجاء فى تقرير جبهة تحرير مورو أن عدد الحوادث التى ارتكبها جيش

الفلبين ضد المسلمين فى النصف الأول من عام ١٤٠٠هـ ٧٩ حادثة .

ولقد ذكر الدكتور هومير جاك الأمين العام للمؤتمر العام للدين والسلام ، فى تقرير إلى لجنة حقوق الإنسان ، يطالب بوضع مسلمى الفلبين بين الشعوب المضطهدة بسبب الدين .. ونضيف أن مؤتمر وزراء خارجية الدول المسلمة ، قد توصل ـ مع مابذله المؤتمر الإسلامى ـ إلى قبول حكومة الفلبين عقد اتفاق مع جبهة تحرير مورو للتفاوض ، وتم ذلك فى طرابلس بليبيا عام ١٩٧٦م ، وفعلاً تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار ..

وتنص الاتفاقية على :

أن تعطى المناطق الإسلامية فى جنوبى الفلبين فى ثلاث عشرة ولاية حكماً ذاتياً ، وتكون لها حكومة ومجلس نيابى ، ومدارس ومحاكم شرعية ، ويجرى فيها استفتاء عام .

وقد أخلت حكومة ماركوس الذى ـ طرد أخيراً ـ بالاتفاقية ، واتضح أن موافقته على وقف اطلاق النار كان خدعة ، وأذكر أن ماركوس هذا قد زار المملكة العربية السعودية فى ثوب ثعلب ماكر يخفى ذئبا شرساً ، واستقبل استقبالاً طيبا ، واعتبر الإعلام هناك أن هذه الزيارة قد

وضعت حداً لمحنة الأقليات المسلمة فى جنوبى الفلبين ، وفتحت الأبواب للأيدى العاملة من الفلبين على حساب الأيدى العاملة من العرب والمسلمين ، وسرعان ما تجرد ماركوس من ثوبه الزائف وظهر على حقيقته .

وعادت جبهة تحرير مورو تحمل السلاح الذى ألقته مؤقتاً ، لتواجه حرب إبادة شرسة ، وبلغ عدد المعارك التى خاضتها فى النصف الأول من عام ١٤٠٠هـ تسعا وتسعين معركة ضارية ، وما كان لمثل ماركوس أن يفى بالعهد ، ووقفنا نحن عند حدود التنديد به .

وفى مارس عام ١٩٨٠ أصدر المسلم الغيور وزير الأوقاف الكويتية بياناً ، يؤكد فيه تواطؤ السلطات الفلبينية ، مع المنظمات المناوئة للإسلام ، والتى تقوم بنشاط تبشيرى فى مناطق المسلمين ، وهذا يستهدف استئصال الإسلام من الفلبين ، بل تمتد إلى أندونيسيا وماليزيا وتايلاند ، وسنغافورة ، وتم هذا التخطيط من قبل المنظمة العالمية للكنائس .

ولا شك أن هذا البيان قد وضع النقاط على الحروف ، فالقوى المعادية للإسلام تخطط ـ منذ أمد بعيد ـ لتوسع من نطاق محاولاتها المدعمة بالسلاح الأمريكى من ناحية ، وبنفوذها السياسى من ناحية أخرى ، كما هى مدعمة كذلك

أدبياً ومعنوياً ومادياً بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى .. هذه المحاولات تستهدف تصفية الوجود الإسلامى فى منطقة جنوبى شرق آسيا ، من منطلق الفلبين ، وأكثر محاولاتها الضغط على سنغافورة ، لتحقيق على الأقل عزل نصف مليون مسلم بها ، يمثلون ٣٠٪ من السكان .

إن الحالة الاقتصادية بالنسبة للمسلمين غاية فى الانخفاض ، بل إن نسبة العاملين فى الوظائف العليا ، لا تتجاوز ٥٪ ، والشباب المسلم هناك يعانى الأمرين للحصول على عمل .. صحيح ـ كما تقول نشرة معهد الأقليات المسلمة ـ أن الممثلين للإسلام بالبرلمان ستة أعضاء ، وأن هناك حزبين للمسلمين ، غير أن الدولة تعاملهم على أساس التفرقة العنصرية ، فتحرمهم من العديد من المجالات ، وكثيراً مايتعرض المسلمون لحملات إرهاب تفتيشية شرسة واعتقالات ، كما أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل للغاية ، وبخاصة التعليم الجامعى ..

وأخيراً .. وليس آخراً :

إن هناك مسألتين جديرتين بالوقوف عندهما طويلا :

الأولى : أن وسائل الإعلام الأجنبى المعادى للإسلام : صليبيا كان أم شيوعياً أم صهيونياً ، حين يتعمد أن يلقى ظلالا كثيفة من التعمية على الأحداث الجسام التى تدور

رحاها فى مسلمى الفلبين ، يكون هذا أمراً بدهياً ، لكن الإنسان لا يدرى ماذا يقول : حين يرى وسائل الإعلام فى الأمة المسلمة تسهم بقسط كبير من التعمية ، وفى نفس الوقت تبذل نشاطاً فى تغطية الأحداث التى تجرى فى جمهورية جنوب أفريقيا العنصرية ، أو فى أمريكا اللاتينية ، أو حتى ايرلنده الشمالية .. وبالرغم من أن شئون هذه المناطق لا تعنينا فى قليل أو كثير ؟؟

الثانية : المفروض أن يكون للدول المسلمة موقف ـ ولو شبه حاسم ـ من أية دولة تسىء معاملة الأقليات المسلمة ـ فضلاً عن حملات الإرهاب الشرسة التى تشن عليها ، وعلى سبيل المثال : لقد فتحت الدول البترولية العربية الأبواب للأيدى العاملة الفلبينية . وقد فتحتها من قبل للأيدى العاملة من كوريا وبورما وتايلاند ، وليست العمالة قاصرة على مناطق الإنتاج ، بل تسللت إلى أعماق الأسر المسلمة .. وهذا هو الخطر .

قال لى شاب مسلم وأنا فى ماليزيا :

لماذا نلوم ماركوس أو من هم وراء ماركوس على مايحدث فى مسلمى الفلبين ، ولا نلوم أنفسنا ؟ أليس البترول الذى يذهب إلى الفلبين هو بترولا من دول عربية مسلمة ؟

وسألنى شاب مسلم :

هل تتوقع أن تتحسن أحوال مسلمى الفلبين ، بعد ذهاب ماركوس إلى غير رجعة ؟

وقلت :

لم يكن ماركوس صانع القرار فى الفلبين بالنسبة لاضطهاد المسلمين هناك ، وإنما كان مجرد أداة لتنفيذ القرار .. أما صانع القرار فهى أمريكا ، والفاتيكان ، ومجلس الكنائس العالمى ، ويوم أن يطرأ تغيير على سياسة هؤلاء تجاه الإسلام ، يمكن أن يكون لسؤالك محل من الاعراب .

●●●

● فى أندونيسيا ●

وهل فى أندونيسيا أقلية مسلمة بحيث تسلك فى إطار محنة الأقليات المسلمة ؟

وأقول : هذا سؤال فى موضعه .. ولكن :

سبق أن عرضت وجهة نظرى التى تتلخص فى أن هناك نوعين من الأقليات ، الأولى ، أقلية كما وكيفا ، كما هو الشأن بالنسبة للأقليات فى الفلبين ، وفى بورما ، وفى تايلاند ـ والأخـرى : أقلية كيفـا ، وإن كانت أكثـرية كمـا ـ أى عددا ـ كما هو الشأن بالنسبة للأكثريات فى الحبشة ، وفى لبنان وفى نيجيريا .. والمحنة تلاحق الكيف فى المقام الأول .. ولا مانع لدى مخططات القوى المعاديـة للإسـلام ، أن يزداد المسلمـون عدداً ، ويقلوا شأنا ، وليس مهما النمو الأفقى ، بل النمو الرأسى .

وقلـــــت :

إن مخططات القوى المعادية ، تستهدف أول ما تستهدف تصفية الوجود الإسلامى فى أى مكان .. التصفية المعنوية دائماً ، والتصفية الجسدية أحياناً .. لكى تسهم فى إجراءات التصفية المعنوية .

ونحن حين نتحدث عن « دولة مسلمة » لا نعنى

ـ فحسب ـ أنها تتمتع بأغلبية أو أكثرية فى عدد سكانها ، بل أيضاً ـ وهذا هو الأهم ـ قدرة الدولة على أن تحمى دماء الإسلام وحرمات المسلمين .

وأندونيسيا المعاصرة :

هى أكبر دولة إسلامية من حيث العدد ، تليها الباكستان وبنجلاديش ثم نيجيريا ، ولكن برغم هذه الكثرة ، فإنها تواجه المحنة برمتها ، وبكل أبعادها .. وحسبك أن تعلم أنها خاضعة اليوم لسيطرة الارساليات التبشيرية المسيحية ، وبخاصة الكاثوليكية والبروتستانتينية ، ومن خلفها النفوذ الأمريكى بأمواله ، وتدعيم الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى مادياً وأدبياً .

كانت أندونيسيا هدفاً للاستعمار الصليبى : البرتغالى والإنجليزى والهولندى على مسار ثلاثة قرون ونصف القرن ، عانى الشعب فيها أهوالاً تجل عن الوصف ، وفى الحرب العالمية الثانية ، غزتها اليابان ، ولقى الشعب الأندونيسي من اليابان معاناة فاقت حد الخيال ، والمعروف أن الاستعمار الصليبى هووالتبشيرالمسيحى قرينان .. ولما كانت أندونيسيا تمثل مركز الثقل الإسلامى فى جنوبى شرقى آسيا ، فقد ركزت مخططات التبشير عليها ، أملاً فى أن يتحقق للصليبية حلماً يراود أذهانها وأبصارها .

لقد عقد التبشير مؤتمره فى ... مالانج ... حيث تقرر فيه : يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين فى جزيرة « جاوة » ٦٠ مليوناً ، خلال العشرين سنة القادمة ، وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين سنة القادمة ، ومن أجل تحقيق هذا الحلم ، عول التبشير هناك على أن يصبح دولة داخل الدولة ، لها مطارات وشبكات إذاعية ، خاصة . تتحكم فى الدولة الأصل ، وتملى عليها شروطها ، وهكذا أصبحت القلة الضئيلة سادة ، والكثرة الساحقة عبيداً ، بل أصبحت الأولى مواطنين والأخرى رعايا ، ومنذ سنوات فشلت فى الحصول على تأشيرة دخول إلى أندونيسيا ، وعبثاً حاولت لأن النظام هناك لا يرحب بالدعاة الإسلاميين ، وفى نفس الوقت ذكرت الأنباءأن البابا شنودة سيزور أندونيسيا بدعوة من مجلس الكنائس العالمى .

هناك لازمة للاستعمار لا يتخلى عنها ، وهو أنه قبل أن يفكر فى الرحيل ، يعمل بشكل مباشر أو غير مباشر فى صناعة البطولات الوطنية ، التى تنخدع إليها الشعوب فى بداية تحررها من الاستعمار نفسه ، ففى حرب الاستقلال الأندونيسية ، كان البطل الحقيقي هو حزب ماشومى الإسلامى ، إنه الحزب الإسلامى العقائدى ، صاحب الأغلبية الساحقة ، والذى كان له إسهام ضخم فى دعم

الاستقلال ومقاومة الاحتلال الهولندى واليابانى معاً .. ولكن لم يمض إلا وقت قصير حتى سحب البساط من تحت أقدام الحزب الإسلامى ، وشرد قادته وسجنوا ، ومنهم من كان وزيراً بل ورئيس وزراء .

وأثبت أحمد سوكارنو أول رئيس للجمهورية ، أنه كان عند حسن ظن الاستعمار الصليبى به ، يقول عنه مؤلف : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام : إن صلته بالإسلام شبيهة بصلة الذئب الأغير ـ كمال أتاتورك ـ بالإسلام .. وأضيف أن الماسونية التى لعبت دوراً رئيسياً فى تشكيل أتاتورك ، لعبت نفس دورها فى تشكيل سوكارنو . وكان بداية سلوكه ـ والكلام للمؤلف نفسه :

أ ـ تجاهلاً صريحاً للإسلام ، وإعلان الحرب على الحركات الإسلامية ، ثم تشجيعاً سافراً للحزب الشيوعى ، والإرساليات التبشيرية .

ب ـ منذ توليه السلطة ، أعلن المبادىء الخمسة التى تقوم عليها فلسفة الحكم والحياة فى أندونيسيا ، وهى : « الإيمان بالله ـ الإنسانية ـ القومية ـ سيادة الشعب ـ ثم العدالة الاجتماعية » وكان أن جمعها فى كلمة واحدة ، أطلق عليها « بانشا سيلا » استغل سوكارنو هذا الاصطلاح ومؤداه الجبهة الوطنية القومية لمواجهة الاستعمار .

جـ - تخلص من أصحاب الثورة الحقيقية ، واعتقل من كانوا أقرب الناس إليه إبان الكفاح مثال : الدكتور حتى نائبه الأول ، ومحمد ناصر أول رئيس وزراء ما بعد الثورة ، وغيرهما من القادة والزعماء .

د - شجع سوكارنو التبشير المسيحى بصورة لم يسبق لها مثيل ، وجعل الحكومة تسهم فى نفقات الإرساليات ، بل وقد عين ٢٦٠ راعياً من القسس فى الجيش على نفقة الدولة بالطبع ، ولأول مرة فى تاريخ الإسلام فى أندونيسيا ، يمكن انتقال آلاف المسلمين إلى المسيحيةتحت سمع الحكومة المسلمة وبصرها ، وكانت النتيجة أن قفز عدد المسيحيين إلى ضعف عددهم أيام الاستعمار الهولندى .

إن سوكارنو كان عهده نقمة على الإسلام والمسلمين ، ولم يكتف بأن جعل أكبر دولة مسلمة فى حوزة الإرساليات التبشيرية ، بل سعى حتى جعل هذه الدولة المسلمة الكبيرة فى قبضة الشيوعيين اقتصادياً وسياسياً ، وقد جنى سوكارنو ثمرة ما قدم ، وقد سجلت أسود صفحة فى تاريخه ، مذبحة أو بمعنى أصح - مجزرة الجنرالات المسلمين بالجيش فى أول أكتوبر عام ١٩٦٥ م فى محاولة انقلاب شيوعيةباءتفى النهاية بالفشل ودفع الشيوعيون الثمن باهظاً .

والتقط الشعب الأنفاس .. ولكن إلى أجل :

كان الغد يخبىء الكثير من المآسى والمفاجآت للإسلام والشعب المسلم فى أندونيسيا .. ذهب النفوذ الشيوعى ، وحل محله النفوذ الأمريكى ، وذهب سوكارنو وجاء سوهارتو ، ولا فرق .. فالشرق الإلحادى والغرب الصليبي كلاهما يسعى إلى تدمير الإسلام فى أكبر دولة إسلامية ، وهما معا متفقان وسيلة وغاية ، والمهم لديهما تحقيق الهدف : تدمير الوجود الإسلامى فى أندونيسيا .

خلال سنوات النفوذ الشيوعى ، أواخر حكم سوكارنو ، قل نشاط الإرساليات التبشيرية دون أن يتوقف ، ولكن ابتداء من عام ١٩٦٧ م بدأ التبشير يضاعف من نشاطه ، بل ويضاعف من تحدياته للإسلام ، وقرر أن يكون دولة داخل الدولة ، تفرض نفوذها وسلطانها ، دونما أى اعتبار للدولة التى تضم أغلبية مسلمة تزيد على ٩٠٪ من السكان ، والسبب فى ذلك ، هو أن سوكارنو كان يساند التبشير بأساليب يغلب عليها الطابع السياسي فى مواجهة المسلمين ، بعد أن كان قد حطم القيادات الإسلامية ، أما سوهارتو فهو يساند التبشير ويدعمه بأساليب البطش والإرهاب والتنكيل لجمهور المسلمين .

كان ما سجله الأستاذ عبد الله التل فى مؤلفه القيم « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » عن محنة الإسلام فى

أندونيسيا يقف عند عام ١٩٧١ م أواخر شهر أغسطس ، أى بعد الإنقلاب الذى أطاح بسوكارنو بأقل من ست سنوات ، ولم تكن قد اتضحت معالم سياسية خلفه بعد أن شغلت الدولة خلال تلك السنوات الست بتصفية بقية الجيوب الشيوعية .. إلا أن كتاباً جديداً بعنوان : « غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا » وبين يدى طبعته الثالثة عام ١٩٧٩ م جاء بمثابة امتداد لما كتبه مؤلف الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام . (*) ..

والكتاب ـ بحق ـ يعرض لأدق التفاصيل المتصلة بمحنة أندونيسيا ، وواضح أن المؤلف عاشها أو عاش جزءاً على الأقل منها ، وهو فى بداية كتابه يزيل لبسا رسخ فى بعض الأذهان مؤداه :

أن أبواب أندونيسيا قد فتحت لإرساليات التبشير بعد عزل سوكارنو ـ يقول : إن تفتح أبواب البلاد بدأ منذ أيام سوكارنو ، ولكن بدون حماية شخصيات رسمية ، أما بعد الإطاحة به ، فقد أصبحت تفتح الأبواب أمام هيئات التبشير الأمريكى بمظلة واقية ، من أشخاص يتسلمون مناصب رسمية حكومية رفيعة فى الدولة الأندونيسية ، وهذا هو الفارق بين أيام سوكارنو ، وما بعد أيام سوكارنو .

(*) المؤلف : أبو هلال الأندونيسي ـ أعتقد أنه رمزى ـ دار الشروق ـ القاهرة ..

يشير المؤلف إلى ما قاله الأستاذ جود ـ رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن ـ فى كتاب له :

سألت عشرين طالباً وطالبة ، كلهم فى العقد الثانى من أعمارهم : من منهم مسيحى حقيقى ؟ فلم يجب بالإيجاب إلا ثلاثة .. وقال سبعة منهم : إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة قط .. أما العشرة الباقون .. فقد صرحوا بأنهم معادون للمسيحية .

هذه لقطة جيدة اختارها المؤلف ليؤكد بالمقارنة بين هذا القول الذى يعتبر بمثابة إحصائية دقيقة عن حال الشباب المثقف فى العالم المسيحي ، وبين النشاط التبشيرى بمؤسساته الضخمة ، وأرصدته الكبيرة ، وخطره المتفاقم فى البلاد التى توصف بالتخلف ـ وبخاصة الأقاليم الإسلامية . بهذه المقارنة يمكن للمرء أن يدرك بسهولة أثر الأيدى الاستعمارية الخفية ، التى تقف وراء التنظيمات أو المنظمات التبشيرية العالمية ، تحركها وفق مخططات مدروسة تمهد لها الأرض ، وتفتح لها العقول لكى تتقبل استعماراً جديداً .. لا أسلحة فيه ولا جنود ، بعد أن رفضت الشعوب الاحتلال بشكله العسكرى المعلن .

وأقـــــــــول :

إن الأيدى التى تعمل للتبشير لم تعد خفية تماماً إلا فى حدود التخطيط والتنسيق ، وهذا مما تقتضيه طبيعة الأشياء ، لنجاح تحقيق الأهداف ، ولا يجوز أن يقال لهؤلاء : عودوا إلى بلادكم ، فهى أولى بكم أن تبشروا بالمسيحية ، ومن هنا أرى أن المقارنة السالفة الذكر ، تؤكد أمراً ذا خطورة كبيرة ، لا أظنها تغيب عن كل ذى لب ، وهو أن الغاية من حملات التبشير لا تقف عند حدود التبشير بالمسيحية .. بل تتعداه إلى عملية حصار على الإسلام نفسه ، لكى يتجمد أو على الأقل يتوقف مساره .

يقول الدكتور حسين مؤنس فى مقاله بمجلة الهلال :

« إنما نريد أن نقول لإخواننا فى أندونيسيا ـ والإسلام أمانة فى أعناقهم ـ « إن التساهل مع بعثات التبشير سيؤدى يوماً إلى مشكلة قومية .. مشكلة أمن داخلى لأندونيسيا كلها » .

كتب الدكتور هذا فى عام ١٩٧٧ م ، وقد تحقق ما كان يتوقعه ، ولكن الكارثة أكبر بكثير من مسألة الأمن القومى لأندونيسيا .. لأن ضياع أكبر دولة إسلامية ، إنما ينعكس على سائر الأقليات المسلمة المجاورة ، وكم هى مطحونة تواجه التصفية الجسدية والمعنوية معاً .

وكم كان بودى أن أطرح هذا السؤال على أستاذنا الدكتور حسين مؤنس : إلى من يتوجه بندائه النابع من صميم إيمانه ؟

إلى الشعب الأندونيسي المهيض الجناح والمغلوب على أمره ، وقد فقد القدرة على التعبير فضلاً عن الحركة ، وقد حولته سياط الإرهاب إلى مجرد أشباح ؟

أم إلى النظام العسكرى الذى يمالىء التبشير على حساب الإسلام ؟

إن الأمـر كله لله ...

●●●

● فى لبنان ●

المسلمون فى لبنان أكثرية كما وأقلية كيفا ، هكذا أراد الاستعمار الفرنسى الذى ولى الانتداب على سوريا ولبنان ، إثر الحرب العالمية الأولى ، وحيث أصبحت دول الخلافة أسلابا للإنجليز والفرنسيين .. الخلافة التى حاربها العرب والمسلمون أملاً فى الاستقلال فوقعوا فريسة لمن هم أشد وأنكى ، لأحفاد قادة الحروب الصليبية : لويس وريتشارد قلب الأسد .

ومنذ قديم الزمـــان :

والقوى الصليبية العالمية تخطط لأن تكون أثيوبيا مركز الثقل الصليبي فى أفريقيا ، وقد تم لها تحقيق ما أرادت ، وأن تكون لبنان مركز الثقل الصليبي فى الشرق الأوسط ، الذى يمثل مركز الثقل للعروبة والإسلام ، وبعد أن نجح الغرب الصليبى فى زرع عضو خبيث فى جسد الأمة العربية ، ازدادت رغبته فى تحويل لبنان إلى مركز ثقل للمسيحية ، لتكون مع اسرائيل كماشة تحاصر الإسلام فى المنطقة ، وتنسقان معاً ، وتخططان لتصفية الوجود الإسلامى موضوعاً لا شكلاً ، ومن ورائهما أمريكا .

ونحن لا نتكلم من فراغ :

إن الحرب الأهلية الدائرة اليوم فى لبنان ، والتى أكملت العام العاشر ، قد أبرزت أمام أعيننا الحقيقة عارية ، حتى من ثوب الرياءَ الذى يشف عما تحته والذى ظلت تلتحف به أمداً طويلاً من الزمان .

أليست هذه الحرب حرباً صليبية فى المقام الأول ؟

فى أوائل هذه الحرب قصد التجار المسيحيون رئيس حزب الكتائب ، وقالوا له : « إن استمرار هذه الحرب من شأنه أن يدمر اقتصاد لبنان » وكانت إجابته حاسمة : « أتريدون أن تذل الكنيسة فى لبنان ؟؟ » ..

والمعنى هنا ليس فى بطن الشاعر كما يقولون .

لقد أبدى المسيحيون الزعماء فى لبنان استعدادهم للموافقة على عملية عجيبة ، « مبادلة » مؤداها أن يستوعب لبنان كافةالمسيحيين فى المنطقة على أن تستوعب الدول العربية سائر مسلمى لبنان ، ومعنى هذا أن يتحول لبنان إلى وطن قومى للنصارى فى الشرق الأوسط ، شأنه شأن إسرائيل كوطن قومى لآل صهيون .

ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً صدر كتاب صغير فى بيروت ، أشار إليه كتاب : التبشير والاستعمار » إشارة عابرة ، لأنه فى نظر المؤلفين الجليلين ، أهون ممايحتفى به ، عنوانه : « لبنان

وطن قومى للنصارى فى الشرق الأوسط » صدر بأكثر من لغة ، ومنها الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والعربية ، ووزع فى المهاجر المختلفة فى الأكثر ، لا يحمل اسم مؤلف ، ولا اسما لمكان الطبع ، ولا تعيينا لزمان الطبع .

وعلى الجانب الآخر :

إن الصليبية والصهيونية اليوم توأمان أو صنوان من أصل واحد ، وقد تحقق هذا بسبب السياسة الأمريكية الحديثة ، التى نصبت نفسها حامية حمى المسيحية فى العالم من ناحية ، ودرعاً للوقاية بالنسبة للصهيونية العالمية كذلك ، ولكى نتأكد من ذلك ، فلنا أن نقرأ ما يقوله مسئول أمريكى - أيوجين روستو - رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية ، وقد كان مستشاراً للرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م وقد نقلت كلماته من كتاب : قادة الغرب يقولون : « دمروا الإسلام أبيدوا أهله » للأستاذ جلال العالم - نقلاً عن كتاب : « معركة المصير » .

يقـول روسـتـو :

« يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان

الصراع محتدما ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

« إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للغرب والعالم الغربى : فلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين المسيحى ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربى ، والدولة الصهيونية .. لأنها إن فعلت غير ذلك ـ يعنى أمريكا ـ فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها » .

أرأيتم ؟ هذه هى أمريكا على حقيقتها .. بوجهها القبيح .. ولم يكن مثيراً للدهشة أن تعلن اسرائيل أنها مسئولة عن حماية المسيحية فى لبنان ، وأن الطائفة المسيحية رحبت بغزو إسرائيل لجنوبى لبنان ، بل إن جيشاً كتائبياً قائماً بذاته فى الجنوب اللبنانى المتاخم لإسرائيل يتعاون مع إسرائيل سافرا وفق مخطط رهيب .

ومن حقنا أن نسأل أنفسنا :

لماذا نلوم الأعداء ولا نلوم أنفسنا نحن العرب والمسلمين ؟

لندع الماضى وشأنه بالنسبة للبنان ، كان لنا موقف سلبى

حتى تمكنت المسيحية من لبنان ، أما فى الوقت الحاضر فإن موقفنا إيجابى .. ولكن ليس لمصلحة الإسلام ، بل لمصلحة العدو .

كان الوجود الفلسطيني في لبنان مرجحاً لكفة الإسلام ، وكان هدف اسرائيل من غزوها لبنان وتصفية المقاومة لذلك السبب ، ونجحت اسرائيل فى كسر شوكة الوجود الفلسطينى حين أجبرت المقاومة على الرحيل منكسة الرؤوس ، وبقيت بعض الجيوب التى تكفل العرب والمسلمون بتصفيتها ، ممثلين فى حركة أمل الشيعية ، وحزب البعث السورى ، وأصبحت طائفة السنة مغلوبة على أمرها فى لبنان ، ويبدو أن البعث السورى قد استسلم لاحتلال اسرائيل للجولان زهاء عشرين عاماً ويحاول أن يكسب نصراً على الإسلام ، وبعد أن فرغ من سوريا اتجه إلى لبنان .

أما موقف العرب ـ ولا أقول : المسلمين ـ فهو موقف السلبية المطلقة ، بل والمخزية ـ من أحداث لبنان ، وأعنى الأنظمة العربية ولا أعنى الشعوب العربية التى لم تعد تملك من الأمر شيئاً ، وما دام صوت العرب لا يزال يردد من القاهرة : أمجاد يا عرب أمجاد ، فسوف يظل العرب الأمجاد فى نشوة مزمنة إلى أن يشاء الله .

● ● ●

● فى ظلال الدائرة الصليبية أيضاً ●

وأقول بادىء ذى بدء :

إن مخططات الصليبية تكثف نشاطها ، حيث توجد الكثرة المسلمة ، التى تحاصرها الحاجة والفاقة ، وأذكر أن الدكتور جارودى المفكر الفرنسى الذى أسلم أخيراً وحسن إسلامه ، قال فى محاضرته التى ألقاها فى ندوة الفكر الإسلامى العالمى فى العاصمة الماليزية ، وذلك فى صيف عام ١٩٨٤ ، « إن مما يؤسف له ، هو أن أفقر دولتين فى العالم ، إحداهما فى أفريقيا « مالى » والثانية فى آسيا « بنجلاديش » لذلك يأتى الحديث عن هذه الدولة قريباً من الحديث الذى سبق عن أندونيسيا ، بيد أن الفارق بين الدولتين من ناحيتين : الأولى

ـ أن شعب أندونيسيا لا يزال لديه بقية من القدرة على التصدى ، والعكس فى بنجلاديش ، والثانية ـ أن النظام فى أندونيسيا يستغل قوته العسكرية فى مساندة الثقل التبشيري ، ويفخر بأنه علمانى من مفرق شعره إلى أخمص قدميه ، بينما النظام فى بنجلاديش مغلوب على أمره ، ولذا فموقفه من المأساة موقف سلبي للغاية .

ولا مانع من إلقاء قليل من الضوء على محنة بنجلاديش

من بدايتها ، معتمداً فى ذلك بشكل أساسى على رسالة موجزة للعلامة المودودى بعنوان : « نحن وبنجلاديش » فالفتنة التى حدثت لها جذورها ، ولم ينته عام ١٩٧١ م حتى نجحت المؤامرة ، وقامت بنجلاديش دولة مهيضة الجناح ، بعد أن أسهم فى المؤامرة إسهاماً ، الغرب والشرق معاً ، بالإضافة إلى الهند الهندوكية ، التى قامت بالدور الرئيسى ، بل إن المعركة حين أصبحت بين الهند والباكستان وجهاً لوجه ، ساندت روسيا الهند ، وخذلت الصين الباكستان ..وكان أن استسلم الجيش الباكستانى أمام الجيش الهندي فى ١٦ ديسمبر ١٩٧١ م وأصبح أسيراً ، واستغلت قضية الأسرى لفرض الشروط على الباكستان المنهزمة ولا تسل : أين كان العالم الإسلامى ؟

فى التاسع من أكتوبر عام ١٩٨٥ م نشر فى جريدة « النور » القاهرية تحقيقاً عن بنجلاديش ، جاء فيه ، إن هناك مائتى منظمة تبشيرية تنصيرية ، وأن ميزانيتها مليار من الدولارات لتنصير شعب مسلم ينتمى إلى ثانية أفقر دول العالم .. مليار دولار سنوياً .. إن تعداد الدولة أكثر من خمسة وتسعين مليوناً من المسلمين .. ويجب أن نتذكر أن دستور بنجلاديش دستور علمانى وقد شجع المنظمات التنصيرية على مضاعفة نشاطها ، وأن نذكر أيضاً أن الفقر

المدقع الذى يعانيه الشعب قد يسر على المنظمات التنصيرية تنصير المسلمين الأميين مقابل الغذاء والكساء ، وتقول الاحضائيات إن زهاء مائتى ألف من السكان يموتون جوعاً كل عام .

● ● ●

● وأخيراً .. وليس آخراً :

فى دائرة الصليبية .. يقف الكاتب المسلم حائراً ، مغلول التفكير لا معلوله ، والفرق بين اللفظين واضح ، فهو لا يمكن أن يفرق بين التبشير مثلاً ، وبين القوى الصليبية التى تموله فكراً ومالاً ، وتمارس ضغوطها السياسية ، والاقتصادية على الأنظمة المسلمة ، لكى تيسر للتبشير الهمجى مهمته ، أو على الأقل تغض الطرف عنه ، ولا ترفعه إلا إذا حاول الشباب المسلم أن يدافع عن دينه بالكلمة وحدها ، عندئذ تحاول الأنظمة البطش به ، بحجج أقلها أن هذا الشباب متهور متعصب مثير للفتنة .

إن التمسح بمقولة « تسامح الإسلام »من منطلق الآية الكريمة : « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ .. » أصبح رمزاً على العجز والضعف .. صحيح أن الإسلام يكفل حرية الرأى وحرية

الفكر وحرية العقيدة .. ولكن حين توظف هذه الحريات للنيل من الإسلام صراحة أو همساً .. فإنها تفقد قيمتها .

ولا نريد أن نزيد المسألة هنا إثارة ، لأن الكاتب الإسلامى اليوم - وفى أى مكان من رقعة العالم الإسلامى - عاجز سياسياً - لا فكرياً - عن أن يضع كل النقاط على الحروف ..

● ● ●

● فى دائرة الشيوعية ●

فى أفريقيا لم أفرد للشيوعية دائرة .. لا لأن قارة أفريقيا خالية من هذا الوباء الأحمر .. بل لأنه لا يزال يتحرك فى رقعة ضيقة من المساحة ، فرض نفسه فيها بقوة السلاح من خلال العملاء والخونة .. ونقطة ثانية ، ليس فى أفريقيا ما يمكن أن نطلق عليه .. محنة أقلية مسلمة .. تحت الضغط الشيوعى ، إذ المسلمون فى الحبشة أكثرية وليسوا أقلية ، ويمكن أن نستثنى على سبيل المثال : مالاجاش ـ مدغشقر ـ سابقاً ، حيث تمثل الأقلية المسلمة ٣٠٪ تعانى الأمرين تحت السيطرة الشيوعية ، كذلك نستثنى الأقلية القليلة للغاية فى أنجولا ، حيث لا تمثل سوى ٣ .٪ من السكان .

أما فى آسيا .. فالشيوعية تبسط أجنحتها على معظم مساحتها .. ثم إن هناك العديد من الدول المسلمة ذات الأغلبية الساحقة ابتلعتها الشيوعية برمتها ، كألبانيا ، والدول الأخرى داخل الاتحاد السوفيتي ، والصين الشعبية ، بل إن هناك من الدول المسلمة ما اعتنق الشيوعية نظاماً ،

وكيف ننسى مأساة أفغانستان والدب الأحمر لا يزال مصراً على التهامها ، لييمم وجهه بعدئذ شطر الباكستان وبنجلاديش ثم إيران .

والمشكلة بالنسبة للكاتب الذى يحاول الكتابة عن محنة الأقليات المسلمة فى دائرة الشيوعية هى من أين يبدأ .. وإلى أين ينتهى ، فى مثل هذه الدائرة المتسعة اتساع المحيط الهادى ؟ أعتقد أنه من الأوفق أن نبدأ بمحنة الأقليات المسلمة فى الاتحاد السوفيتى ، ثم فى الصين ، باعتبار أن الدولتين تستوعبان مراكز الثقل بالنسبة للمحنة :

● فى الاتحاد السوفيتي ●

يحدثنا كتاب « المسلمون فى روسيا » للأستاذ أحمد طلعت ، أن الأقليات المسلمة فى عهد القيصيرية ، كانت تعانى من المحن أشرسها ، فدين الدولة الرسمى هو المسيحية الأرثوذكسية ، وكان المسلمون ـ مع اتباع الديانات الأخرى غير المسيحية بالطبع ، يطلق عليهم .. « المارقون » وبينما القانون يعاقب بشدة اعتناق أى من المسيحيين للإسلام أو غيره ، يعاقب بشدة أيضاً من يعوق أو يعرقل اعتناق المسلم أو غيره للأرثوذكسية ، كانت التفرقة الشائنة بين المسيحيين وغيرهم سائدة ، بل ومن أعجب العجائب أن تعيين رجال الدين من المسلمين ، كان من حق القيصر ، فقد نصت القوانين على هذا الحق للسلطة السامية ممثلة فى القيصر .

كانت القيصرية هما ثقيلاً عانى منه الشعب بأسره .. الشعب الذى كان غارقاً فى الثالوث البغيض : الفقر والجهل والمرض ، وعندما جاءت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م توهم الشعب أنه سوف يجد متنفساً فيها ، ولقد أبلى المسلمون بلاء حسنا فى المعركة ضد القيصرية ، واعترف بذلك زعماء الثورة أنفسهم ، ثم كان جزاؤهم ـ بعد أن استقرت الثورة ـ جزاء سنمار .

لقد اطمأن المسلمون إلى الشعارات ، ثم تبين لهم فيما بعد أنها كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء .. حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وإذا بالمحنة تزداد ضراوة وشراسة عن المحنة فى عهد القيصرية .

فى ١٥ نوفمبر ١٩١٧م . أى عقب نجاح الثورة الروسية - أصدر زعماؤها بياناً من أربع نقاط ، أعلن فيه حقوق شعوب روسيا :

(١) المساواة والسيادة لشعوب روسيا .

(٢) حق الشعوب فى التقرير الحر لمصيرها ، بما فيه حق الانفصال وتكوين دولة مستقلة .

(٣) إلغاء كل امتيازات وقيود وطنية ودينية .

(٤) التطور الحر للأقليات الوطنية والمجموعات المتحدة الجنس التى تسكن روسيا .

وبعد شهر واحد من الإعلان ، وجهت الحكومة نداء إلى الشعب المسلم فى روسيا :

« يا مسلمى روسيا من الآن فصاعدا .. نعلن أن معتقداتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية حرة ، ولا يمكن أن تمس .. رتبوا حياتكم الوطنية ، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن كل حقوق شعب روسيا ، تحميها كل قوى الثورة وأجهزتها »

وجاء الدستور بعد ذلك مؤكداً .. ثم تحول هذا وذاك إلى مجرد ـ حبر على ورق ـ كما يقولون :

إن آخر الإحصائيات تقول : إن عدد المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي خمسون عليوناً ، من عدد السكان البالغ أكثر من ٢٦٠ مليوناً ، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم الستة عشرة منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ فى بعضها ٩٥٪ ، وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية ، وتحولت إلى أقلية بعد أن أدمجت فى الأم .. وكان لابد أن تتنكر الشيوعية للإسلام :

ألغيت المحاكم الشرعية فى المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦ م وبعد عشرين سنة منعت سائر الأنشطة الإدارية الدينية ، واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين ، فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨ م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين ، وفى عام ١٩٢٩ م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد ، وأكثر من أربعة عشر ألفاً من المدارس الإسلامية .

وتتبع الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمييع كيانهم ، إن أسلوب التضييق على الإسلام ابتداء من حرق المصاحف وإغلاق المدارس وهدم المساجد ، والاعتقال

والنفى والتشريد للمسلمين .. هذا الأسلوب فشل فشلاً ذريعاً فى القضاء على الإسلام ، ولجأوا إلى أسلوب التهجير من الجمهوريات الإسلامية التى استولت عليها عنوة .. إلى مجاهل سيبيريا ، التى تزيد مساحتها على مساحة أوروبا .. على أن يحل محل المسلمين المنفيين - روس شيوعيون - وبذلك تصبح الجمهوريات الإسلاميـــة أسماء على غير مسميات .

إن لمحنة الأقليات المسلمة فى الاتحاد السوفيتى أبعاداً ذات خطورة لا يتصورها عقل بشرى ، وبخاصةً ونحن فى القرن العشرين ، ولو كان ما يحدث اليوم قد حدث فى عصور الهمجية الأولى ، حيث كانت شريعة الغاب هى السائدة ، لاعتبر نشازاً وشذوذاً .. فأية صفة يمكن أن تليق بها فى القرن العشرين ، حيث هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، ولجنة حقوق الإنسان .. والقانون الدولى العام ؟ يبدو أن هذه المؤسسات أسماء على غير مسميات ، فهى لا تنصف ضعيفاً ولا تخذل قوياً .

لقد ابتلع الدب الأحمر جمهوريات إسلامية برمتها ، ثم ضمها إلى الاتحاد السوفيتي عنوة ، والقانون الدولى الذى

تخاذل وعجز عن حماية تلك الجمهوريات المستقلة ، هو نفسه الذى أصبح يحمى الجريمة والمجرمين ، بحجة أن إثارة القضية يعتبر تدخلاً فى شئون الاتحاد السوفيتي الداخلية ، وهذامما لا يسمح به ذلك القانون المسمى بالقانون الدولى .. لقد اغتصبت أريتريا ، وزنجبار ، والصومال الغربى ، وفلسطين ، والتركستان الشرقية ، والدائرة اليوم تدور على أفغانستان ، والقانون الدولى وسائر المؤسسات الدولية فى إجازة إلى أجل غير مسمى .

●●●

● فى الصين الشعبية ●

إن عدد المسلمين اليوم يزحف نحو المائة مليون ، يمثلون تقريباً ١٠٪ من السكان ، والحق أن مسلمى الصين كانوا قبل الشيوعية يئنون تحت سياط الإرهاب والاضطهاد فى أحيان كثيرة ، وقد حدثت فى المسلمين مذابح استشهد فيها عشرات الألوف من المسلمين .. وبرغم هذا كله ـ كما يقول بدر الدين حماد فى كتابه « تاريخ الإسلام فى الصين » فإن الأمر لا يقارن بالمعاناة التى قاسى منها المسلمون فى الصين فى عهد الحكم الشيوعى . الذى جاء ابتداء من عام ١٩٤٩ م واستولى على الصين .

وما فعله الشيوعيون فى الاتحاد السوفييتى ، فعله شيوعيو الصين ، شعارات فى بادىء الأمر ، ونصوص فى الدستور ليطمئن المسلمون على كيانهم ومستقبلهم ، وهم الذين قاموا بدور بطولى فى الحرب الأهلية ثم أثبتت الأيام زيف ذلك كله ، لقد فرض على المسلمين نظام الزواج المختلط ، ونظام المعيشة المشتركة ، وصودرت أملاك أوقاف المسلمين ، وما أن عارض المسلمون هذا التسلط الشيوعى الصينى حتى زج بالألوف منهم فى السجون والمعتقلات وأحرقت الكتب الإسلامية ،

وأغلقت المساجد وهدم الكثير منها ، كما أغلقت المدارس الإسلامية ، وشرد علماء المسلمين .

وذاق المسلمون الأمرين فى مرحلة الثورة الثقافية ، أو مرحلة حكم عصابة الأربعة ـ كما يطلق عليها من النظام الجديد ـ لقد جاء على لسان الحاج الياس شين ، نائب رئيس الجمعية الإسلامية هناك ، أن الشيوعيين فى الصين خربوا كل شىء .. فى حديث نشرته مجلة العربى عدد محرم ١٤٨١ م : وقبض على رئيس الجمعية ، وضرب وعذب وسجن ، وهكذا كان مصير نوابه ، اقتحم شباب عصابة الأربعة مساكنهم ، فأخذوا المصاحف وأحرقوها علانيةً فى الشوارع ، وفقدنا مخطوطات نادرة ، وامتدت الخطة إلى المساجد ، فأغلقوا البعض ، وحولوا البعض الآخر إلى ورش ومخازن ، ولم يستثنوا الا مسجدا واحدا فى بكين العاصمة ليصلى فيه الدبلوماسيون الاجانب فى المناسبات .

ولا داعى لأن نتساءل :

أين العالم الإسلامى من هذه الهمجية التترية ؟

ولا أين الدبلوماسيون المسلمون فى بكين العاصمة ؟

ومن الصين إلى التبت :

كانت دولة ذات سيادة .. لعب الإسلام فيها دوراً كبيراً ، وقد دخلها فى وقت مبكر ، فى أواخر القرن الأول الهجرى ، عن طريق جارتيها : كشمير والتركستان الشرقية ، ثم التهمتها الصين ، وأصبحت إحدى ولاياتها منذ عام ١٩٥١ ، وبدأت مع ذلك محنة الإسلام والمسلمين الذين يمثلون أكثر من ١٠٪ من السكان ، فآخر الإحصائيات تقول : بلغ تعداد السكان مليونين ، وبلغ عدد المسلمين أكثر من مائتى ألف ، ولقد قاوم المسلمون الغزو الشيوعى الصينى وأبلوا فى المقاومة بلاء حسنا ، وسقط آلاف الشهداء منهم .. واليوم يعيش مائتا ألف من المسلمين محنتهم الشرسة ، شأنهم شأن إخوان لهم فى الدين يعيشون فى ظل الإرهاب الأحمر .

●●●

والتركستان الشرقية :

فى كتاب : « الأقليات المسلمة » للأستاذ سيد عبد الحميد بكر :

ضم إقليم التركستان الشرقية إلى الصين عام ١٨٨١ م عنوة بعد صراع استمر قرنين من الزمان بين روسيا والصين ، ولم يستسلم الشعب المسلم الذى كان يمثل أكثر من ٩٠٪ من عدد السكان للاحتلال الصينى ، واضطر إلى الهدوء فى مواجهة قوات تترية غاشمة ، وبدأت الصين عمليات التهجير من الصينيين الوثنيين إلى التركستان بهدف تخفيض نسبة المسلمين إلى ٧٠٪ وأدى هذا إلى طمس للمعالم الإسلامية ، واكتملت المرارة بضم التركستان الدولة المسلمة إلى الصين ، وأطلق عليها سنكيلنج أى المقاطعة الجديدة .

وما أكثر ما قام به المسلمون - على فترات - بانتفاضات حققوا بها استقلال التركستان الشرقية فترات من الزمن « ولكن تعاون روسيا والصين كان يقضى على الجمهوريات

الوليدة ، وآخر هذه الجمهوريات الإسلامية المستقلة تأسست للثورة بقيادة عثمان باتور ، غير أن الغزو الشيوعى الصينى قضى عليها فى عام ١٣٦٩ هـ حيث دخلت التركستان الشرقية فى حوزة الحكم الصينى .

وواضح أن سياسة الصين اليوم تجاه المسلمين فى التركستان بدأت فى تحسن ، ولكن متى كان للشيوعية عهد . ؟

●●●

وكمبوتشيا :

إن عدد المسلمين بها يزيد على مائتى ألف نسمة ، يمثلون أكثر من ٢٠٪ كانوا يعيشون فى هدوء إلى أن استولى الشيوعيون على الحكم ١٩٧٥ م فتعرضوا لمصير محزن اضطر الكثيرون منهم إلى الفرار بأرواحهم إلى ماليزيا وتايلاند ، إن ما فعلته الحكومة الشيوعية فى الجماعات المسلمة فى كمبوتشيا ، وارتكبته من جرائم يجل عن الوصف ، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الشيوعية عادت بالبشرية إلى ما هو أحط من عصور همجية ما قبل التاريخ .

لقد قام النظام الشيوعى بشن غارات تترية على المسلمين ، وقتلت قادتهم ومن بينهم شيخ الإسلام الشيخ عبد الله إدريس ، وطرد المسلمين من قراهم وهدم المساجد .. وأجبر بنات المسلمين على الزواج بغير المسلمين ، وحرق كتب التراث الإسلامى ، وفى الصراع الدائر اليوم بين قوتين شيوعيتين ، فيتنام الشمالية أحد طرفيه ، وحيث أصبحت كمبوتشيا مسرحا لعمليات القتال ، يتعرض المسلمون لإبادة جماعية ، لقد انخفض عدد المسلمين انخفاضاً كبيراً بسبب الفرار من الاضطهاد ويعانى اللاجئون إلى تايلاند ـ بالذات ـ ألوانا لا حصر لها ولا وصف لها من المعاناة .

● ثم ماذا ؟

فى مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس السابق الذكر - على صفحات مجلة « الهلال » القاهرية - أشار إلى المجموعة التركية المغولية . وذكر أن شمال البحر الأسود حتى مجري نهر الدنيبر جنوبى أوكرانيا . كانت بلادا إسلامية .. فأين ذهب هذا كله ؟ ابتلعه الاتحاد السوفيتى ، وحارب الإسلام فيه أيام القيصرية باسم الدين ، وبعد القيصرية باسم الشيوعية .

« وأظن أننا لا نذيع سرا عندما نقول : إن السياسة الروسية تعمل بصراحة على القضاء على ما بقى من الإسلام فى كل هذه النواحى .. هناك اليوم ست جمهوريات إسلامية تحت السلطان الروسى .. إنها جمهوريات بالاسم .. وأظن أن هذا واضح ومعروف .. هذه الجمهوريات هى : أذربيجان - كازاكستان - قرغيزستان - تاجيق - التركمان ثم أوزبك »

ماذا يجرى للإسلام فى هذه الجمهوريات ؟ أليس من واجبنا أن نزيح الستار عن مأساة الإسلام التى تجرى هناك ؟ إن الإسلام هناك ليس فى خطر - فحسب - بل هو فى ضياع حقيقى .

ويتساءل أستاذنا : هل تجوز المجاملة على حساب الدين ؟

ثم ماذا يضيرنا لو بسطنا الحقيقة ، وطالبنا بحق الإسلام والمسلمين فى هذه النواحى ؟

إن كل ما يخالف حقوق الإنسان يرتكب ضد مسلمى الجمهوريات الإسلامية الست .. فهل يجوز السكوت والإسلام فى خطر حقيقى فى هذا الجزء الواسع من آسيا ؟؟

ولا أعتقد أننا فى حاجة إلى مزيد من القول والله وحده حسبنا .

●●●

● فى دائرة الصهيونية ●

لا أعتقد أننا بحاجة إلى الحديث كثيراً عن هذه الدائرة ، التى جمعت بين خسة سائر الدوائر الأخرى ، وشراستها ، وزادت على ذلك نذالة لا تتوافر إلا فى آل صهيون ، وهى نذالة ليست كسائر النذالات ، بل هى من نوع لا يعرفه سوى آل صهيون قتلة الأنبياء .

حسبنا أن نحيل القارىء إلى ما صدر عن اليهود من مؤلفات أجنبية وعربية ، مثل ملف إسرائيل « للدكتور المفكر الفرنسى .. جارودى » ومثل : « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » « وخطر اليهود على المسيحية والإسلام » « لعبد الله التل » بل ولماذا نذهب بعيداً ، وأمامنا « بروتوكولات صهيون » وأمامنا ـ غير المقروء ـ مثل عملى مثال الحكومة اليهودية العالمية ، المستورة التى يديرها ـ على حد تعبير الأستاذ الرفاعى فى كتابه حقيقة ـ اليهود ـ ثلثمائة شيطان ، ممن أطلقوا على أنفسهم لقب .. حكماء صهيون .

لقد ذكر المليونير اليهودى ـ ولتر راثنو ـ فى صحيفة ألمانية فى ٢٥/١٢/١٩٠٩ م : أن هناك ثلثمائة رجل ، كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين ، يتحكمون فى مصير أوروبا ، أنهم

ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها .

ولسنا بصدد البحث عن تاريخ آل صهيون ، وإنما بصدد الحديث عن واقعهم المعاصر ، ويبدو أننا قد نسينا أن اليهود فى فلسطين كانوا قلة والعرب كانوا كثرة ، وبعد قيام دولتهم فى ١٩٤٨/٥/١٥ م صار العرب المسلمون أصحاب الأرض الشرعيين قلة مضطهدة ، بعد أن حول جزء من الكثرة إلى لاجئين أو مشردين غير مرغوب فيهم ممن هم أقرب الناس إليهم :

أما من تبقى من العرب فى فلسطين ـ أعنى فى الضفة الغربية أو قطاع غزة ـ فقد أصبحوا تحت حكم إسرائيل رعايا من الدرجة الثانية ، وليسوا مواطنين حتى من الدرجة الثالثة وبين الحين والآخر ينتفضون ، ولكن انتفاضاتهم ـ فى محاولة منهم لكى يثبتوا للعالم أنهم مازالوا على قيد الحياة .. ولا يهم ما هو شكل هذه الحياة أو حقيقتها ـ فإن أكثر هذه الانتفاضات تعود عليهم بالضرر أكثر مما تعود عليهم بالنفع .

ومما يؤسف له : أن العرب « الأماجد » لا يملكون الا

الكلام ـ والكلام فقط ـ كتابة وخطابة فى مواجهة إسرائيل ، والحق يقال : إنهم نجحوا فى سب إسرائيل والصهيونية ، وفضح أخلاقياتها ، وألفت مئات الكتب ، وألقيت آلاف الخطب والقصائد بسائر بحور الشعر ولكنهم لم يفعلوا شيئاً ، غير ذلك ، سوى مؤتمرات للقمة العربية ، أو الإسلامية ، من أجل فلسطين ، وهى للإعلان والاستهلاك ، ولا شىء أكثر من ذلك ، وقد قال مفكر سياسى عربى ، أراد لنفسه أن يقضى بقية حياته بعيداً عن الأضواء : « لو أننا اشترينا أسلحة بما أنفقناه على المؤلفات والمؤتمرات لتغير وجه التاريخ بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وأذكر منذ ربع قرن ـ والكلام للمفكر العربى المسلم ـ أننى رفضت قبول دعوة وجهت إلى من دولة عربية للاشتراك فى مؤتمر عن البطولة العربية فى التاريخ والأدب .. وبلغنى أن المتحدثين ـ وبخاصة الشعراء ـ أبدعوا فى مدح الأسرة الحاكمة فى الدولة المضيفة ، وقد بلغ عدد المدعوين زهاء الألف ، وهذا لا يهم ، بل المهم أن تكاليف المؤتمر بلغت مليونا من الدنانير ، ولم يسعنى الا أن أحدث نفسى : أن هناك مليونا من اللاجئين الفلسطينيين ، يعيشون فى شبه عراء ، يتلقون من هيئة الإغاثة ما يكاد يسد الرمق ، ويستر السوأة فلو أن ملايين الدنانير وزعت عليهم لكان أجدى من عشرات مثل ذلك المؤتمر .. ولكن من يقرأ ومن يسمع .. ؟

ولا داعى للاستطراد فيما يختص بمحنة فلسطين ، فالعرب هم صانعو محنتها ، سداها ولحمتها .. وليس آل صهيون ، ولا من هم وراء آل صهيون ولا هو أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة هرتزر ، ولا هو وعد بلفور الذى صدر فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ م .

● **وخلاصة القول :**

إن أية محنة تعيشها أقلية مسلمة ـ لا فى آسيا وحدها ، بل فى العالم بأسره ـ لابد أن للصهيونية يدا فيها ، وهى لا تعمل فى دائرتها الخاصة ـ فى حدود دولتها التى ولدت من سفاح ، فوق أرض مغتصبة من كبد العروبة والإسلام ، بل إنها تعمل بنشاط دائب فى الدوائر الثلاث الأخرى : الصليبية ، والشيوعية ، ثم الهندوكية والبوذية .. إن الصهيونية هى الأفعى السامة ، ذنبها فى إسرائيل ، والرأس يلتف لتدمير العالم ، ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب الا بعد تدمير العالم ، والتربع على أنقاضه تحت تاج ملك يهودى يحكم العالم من القدس ..

● ● ●

● فى دائرة الهندوكية ●

لقد أفردت للهندوكية دائرة خاصة ، برغم أن هذه الهندوكية تكاد تنحصر فى الهند ، لكن الهند تعتبر شبه قارة ، فهى سابع دول العالم مساحة ، والثانية سكاناً ـ بعد الصين ـ وتعداد سكانها أوشك أن يبلغ ٧٠٠ مليون نسمة ، أضف إلى ذلك أن للصراع القائم بين الهندوس ـ الأغلبية ـ والمسلمين ـ الأقلية ـ أبعادا ذات جذور وسيقان وفروع وثمار وتعتبر أكثر استيعابا للديانات واللغات ، فهى شعوب عديدة فى أمة أو فى دولة واحدة عجيبة التراكيب ، ووسط هذا الخضم البشرى الهائل يعيش أكثر من مائة مليون مسلم : يعانون التحديات الهندوكية ، بصورة مثيرة للأسى ، وما أكثر ما تصل إلى حملات إبادة للمسلمين ، واعتداءات منكرة على مساجدهم ومدارسهم .. والعجيب فى الأمر أن بقية الديانات ذات الأقلية فى الهند ، لا تعانى أى اضطهاد ، على سبيل المثال : المسيحيون ١٥ مليونا ، ثم البوذيون خمسة ملايين ، أما الصراع القائم بين الهندوس والسيخ فتلك مسألة أخرى ، لها أبعادها الخاصة .

دخل الإسلام الهند مبكراً ، وكانت بداية الفتح على يد القائد المسلم محمد بن القاسم عام ٩٢ هـ فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وعندما تأسست بشبه القارة الهندية امبراطورية إسلامية ، واجهت بعد ذلك الجيوش الصليبية البرتغالية والهولندية ، وقد لقيت هزائم على أيدى المسلمين الذين قضوا على تجارة الرقيق الذى كان يمارسه البرتغاليون ، ثم دخلت بريطانيا منافسا استعماريا يبغى السيطرة على الهند ، وتم لها ذلك فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

قبل الاستعمار الإنجليزى كان المسلمون فى الهند أغلبية ، كانت المهمة الأولى أمام هذا الاستعمار الصليبى العفن ، هى محاصرة الإسلام فى الهند ودفعه دفعاً إلى التقلص ، وبخاصة أن مسلمى الهند هم الذين بذلوا دماءهم فى مقاومة الغزو الأجنبى الهولندى والبرتغالى ثم الانجليزى ، وكان أسلوب الاستعمار الأخير غاية فى الدهاء ، وما أن استقلت الهند عام ١٩٤٧ حتى كان المسلمون أقلية نسبيا ، فانجلترا هى التى خططت مستعينة بالدس والوقيعة . بين الهندوس والمسلمين ، ولم يكن شىء من ذلك قد حدث قبل أن يدنس الاستعمار الانجليزى أرض الهند ، وقد نجح الاستعمار فى مسعاه ،

حيث تم تقسيم الهند فى عام ١٩٤٧ م إلى هندستان وباكستان ، وسرعان ما حذف المقطع الأخير من هندستان ليصبح الإسم الرسمى : الهند .

جاء فى تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية « للأستاذ أحمد محمود الساداتى » : أعلن الحاكم البريطانى « اللورد النبرو » فى بداية الاستعمار : أن العنصر الإسلامى فى الهند عدو بريطانيا اللدود ، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها ، لتستعين بهم فى القضاء على الخطر الذى يتهدد بريطانيا فى هذه البلاد .

ولا عجب من هذا اللغو الذى صدر من لورد بريطانى استعمارى عفن ، مادام انجليزيا وكفى ، والصفاقة شىء طبيعى يجرى فى دم الانجليز ، والعجب المثير للدهشة أن لا يكونوا صفقاء .. والمهم أن ما قاله اللورد كان بمثابة دستور التزمت به السياسة البريطانية فى الهند .. وقد نجحت فى تقسيم الهند لضعف شوكة المسلمين ، وعلى ضوء هذه السياسة ، وبعد ثلاثة وعشرين عاماً ، تم شطر الباكستان إلى شطرين ، وظهرت على خريطة العالم دولة مسلمة مهيضة الجناح ، اقتطعت عنوة من الأم .. هى دولة بنجلاديش ،

أفقر دولة فى آسيا ، ولا شك أن الهندوكية الحاكمة فى الهند قد لعبت الدور الرئيسى فى المأساة ..

فى مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس السالف الذكر :

إنه عندما استقرت قبضة الانجليز فى الهند - فى القرن السابع عشر الميلادى ، كان الإسلام هو القوة السائدة فى شبه القارة ، ولم يتصد للدفاع عن الهند إلا المسلمون ، وبعد القضاء على قوة المسلمين لجأ الانجليز إلى سياسة معادية للإسلام .. فشجعوا غير المسلمين واجتهدوا فى تعليمهم وأخذوا يحرضون الهندوك على الإسلام ، وحرموا المسلمين من الوظائف ، ونشروا فى الهند فكرة : أن الدول الإسلامية فى الهند ليست دولا هندية ، بل هى دول غازية أو مستعمرة .. وقالوا : إنهم مغول وأتراك وليسوا هنودا . مع أن مغولى الهند أصبحوا مع الزمن هنودا ، ثم إن تسعين فى المائة من مسلمى الهند هنود اختاروا الإسلام دينا ..

وإذا نحن تركنا الماضى مؤقتا بكل آلامه وجراحه ، وجرائمه التى لا يسأل عنها الحكم الهندوكى ، والاستعمار العفن البريطانى ، بقدر ما يسأل عنها العالم الإسلامى الذى تخلى عن دوره ، بعد أن تولت قيادته زعامات صنعت على أعين المخططات العدوانية صليبية كانت أم علمانية .

فلا أقل من أن نعرض لواقع المسلمين ، وهو ـ لا شك واقع متخم بالآلام ، حيث يمارس الهندوك على مسمع ومرأى من الحكومة ضد المسلمين الهنود أبشع الجرائم .

إن أى مؤرخ لا يمكنه أن يلاحق الأحداث الهندوكية التى تمخضت عن أبشع الجرائم التى أرتكبت ضد المسلمين ، واعتداءات همجية ضد أرواحهم ومساجدهم وممتلكاتهم .. حسبنا هنا أن نشير إلى حادث وقع فى مدينة جمشديور ـ مركز صناعة الصلب فى ولاية (بيهار) ، حيث جرت حملات إبادة شرسة ضد المسلمين فى عام ١٩٧٩ م ، ونحن ننقل بإيجاز من نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة بجدة ، حيث استولى قطاع الطرق على المدينة ، وتعرض المسلمون على مدى أيام ثلاثة فى المدينة لحركة إبادة وتدمير بشعة ، وبعلم من السلطات الحاكمة على أحياء المسلمين ، فقتلوا حوالى ألف مسلم وجرحوا أكثر من ألف وخمسمائة ، ودمرت منازل تقدر بثلاثة ملايين من الدولارات خسارتها وما خفى كان أعظم ..

ولا تسل عن العالم الإسلامى أين كان ، لأنه أراد لنفسه أن يظل فى تخمة من الغيبوبة ، صحيح أن احتجت الجماعة الإسلامية بزعامة المودودى من الباكستان ، ورابطة العالم

الإسلامى بمكة .. لكن النتيجة كانت مجموعة من الأصفار من جهة اليسار .

لقد استمعنا أنباء المجزرة البشعة من سائر الإذاعات الأجنبية ، واتضح أن إذاعات الدول العربية ـ بالذات مصابة بالصمم وعمى الألوان ..

وهكذا يعيش المسلمون ـ أكثر من مائة مليون ـ مواطنين من الدرجة الثانية ، ولقد كانت سياسة الزعيمة التى لقيت مصرعها ـ أنديرا غاندى ، تخطط لعمليات التصفية الجسدية والمعنوية للمسلمين ، لقد بكيناها بحرقة فى مصر وفى العالم العربى ، ورثاها شعراؤنا ومنهم من تلقى تعليمه فى الأزهر .

●●●

● ومأســـاة كشميـــر ●

● **أجل محنة كشمير .. بل مأساتها :**

برزت مشكلة كشمير ـ التى تحولت فيما بعد إلى مآساة ـ إثر تقسيم الهند عام ١٩٤٧ م وهى فى حقيقة الأمر ولاية إسلامية ، تصل نسبة المسلمين فيها أكثر من ٧٥٪ وكان يحكمها ـ قبل التقسيم مهراجا هندوسى برغم أن أغلبية السكان مسلمون ، وقد رفض المهراجا الهندوسى الانضمام إلى أى من الهند وباكستان ، ولما ثار المسلمون فيها مطالبين بالانضمام إلى باكستان ، هرب المهراجا إلى الهند ، ومن هنا طالب بانضمام كشمير إلى الهند ، وتدخلت الهند لحمايته ، وزحفت كل من القوات الباكستانية والهندية إلى كشمير ، ونشبت المعركة ، ونجحت هيئة الأمم فى وقف القتال بعد أن استولت الهند على المساحة الكبرى .

فى عام ١٩٥٦ م أعلنت الهند أن ما استولت عليه من كشمير يعتبر أرضا هندية ، ورفضت باكستان ، وتجدد

النزاع ، فى عام ١٩٦٥ م .. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة لوقف النزاع ، وتجمد الوضع إلى يومنا هذا ، بعد أن استولت الهند على ثلثى كشمير ، وقنعت الباكستان بالثلث تحت عنوان « كشمير آزاد » أى كشمير الحرة ، وأسدل الستار على محنة الإسلام فى كشمير .

●●●

● وفـــى دائـــرة البوذيـــة ●

إن البوذية الحديثة تنكرت لمبادئها الأصيلة التى تقوم على التسامح والأخوة الإنسانية ، ولم يعرف من حكيم بوذا دعوته إلى العنف فضلا عن إراقة الدماء البشرية .. وما حدث فى تايلاند وبورما وما يحدث اليوم ، لا يمكن أن يعبر عن جوهر البوذية .. لكن الأنظمة السياسية المريضة بداء السيطرة تنفصل دائماً عن العقيدة ، إشباعا لشهوتها أولاً - وثانيا إرضاء وتزلفا إلى جماهير الشعب الذى أصبح أقرب ما يكون إلى الأمية الفكرية .. ولا تكاد هذه الأنظمة تخلو من التعصب المتخم بالغل والحقد على الإسلام .

● ولنبدأ بتايلاند :

إن عدد سكان تايلاند الواقعة فى جنوبى شرقى آسيا يزحف نحو الخمسين مليونا ، ونسبة المسلمين حوالى ٢٥٪ ، وإن كانت المصادر الغربية تقدر عدد المسلمين بأقل كثيراً من هذه النسبة ، فالمصادر الغربية لا تعترف بأمانة الكلمة المكتوبة ، ولا بأمانة التاريخ ، ويكاد يتركز المسلمون فى أقليم فطانى بالجنوب حيث يقدر عددهم بثلاثة ملايين .

وفى القرن الخامس الهجرى دخل الإسلام البلاد ، ومنذ ذلك الوقت وهم يواجهون تحديات من الدولة ، وكان اقليم فطانى ـ ومازال ـ هدف التحديات حيث مركز الثقل للإسلام ..

بدأت الحكومة بتهجير عدد من المسلمين من فطانى إلى العاصمة لتخفف من كثافة المسلمين ، لكن المهاجرين نجحوا فى نشر الإسلام فى بنكوك العاصمة ، فلجأت الحكومة إلى تهجير الوثنيين إلى إقليم فطانى من أجل الغرض نفسه ، وأمام التحديات الشرسة التي يواجه بها البوذيون المسلمين ، لم يسع المسلمين الا المقاومة دفاعا عن النفس .

لقد زرعت الحكومة فى الاقليم تيلانديين يعملون كجواسيس على المسلمين ، واغتصبت السلطات من أراضى المسلمين أخصبها ومنحتها للبوذيين لإضعاف كيان المسلمين الاقتصادى .. وسيطرت على التعليم ، وفرضت اللغة السامية بدلا من اللغة الملاوية لغة أهل فطانى ..

إن ما ترتكبه السلطات البوذية ضد المسلمين ، يجل عن الوصف ، يكفى أن تكون الحرب التى تشنها عليهم هى حروب إبادة فى المقام الأول .

وفى عام ١٩٥٤ م اغتالت السلطات سرا رئيس الهيئة التنفيذية للقضاء الإسلامى بفطانى : الحاج محمد سولونج وزملاءه ، بعد أن زج بهم فى غياهب السجون سنوات ثلاثا ، لأنهم تجرأوا ورفعوا مذكرة بشأن قضيتهم إلى هيئة الأمم المتحدة .

ولم تقف السلطات عند حدود عزل إقليم فطانى المسلم عن العالم الخارجى ، بل لقد أغلقت كتاتيب القرآن والمدارس ، واشترطت لتعيين المسلمين فى الوظائف المتواضعة أن يجيدوا اللغة السامية ، ثم قامت بنشر المعابد البوذية فى مناطق المسلمين ، وما هو أدهى وأمر ، ويمثل تحديا صارخا للإسلام نفسه ، فقد جاء فى مؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر « الأقليات المسلمة » الجزء الأول : أن البوذيين ترجموا القرآن إلى اللغة التايلاندية ، ليحرفوا بعض آياته ، كما حرفوا بعض الأحاديث النبوية .

ولا يزال اضطهاد الشعب المسلم فى فطانى يمارس بشراسة وهمجية وقد عبرت عن ذلك أمانة رابطة العالم الإسلامى ، وفى المذكرة التى رفعتها إلى المؤتمر الإسلامى الثالث الذى انعقد بمكة فى ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ وفيها :

أن التقارير الواردة إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى ، حول المسلمين فى فطانى تفيد أن حكومة تايلاند البوذية ، تواصل سياستها الاضطهادية ضد مسلمى فطانى ، وتقوم بحرب نفسية شرسة لقتل روح المقاومة الإسلامية فى فطانى .. وصار القتل الجماعى وإحراق الأحياء الإسلامية ، وانتهاك الحرمات من الأعمال الاعتيادية التى تقوم بها القوات البحرية التايلاندية ، ولقد أحرقت القوات التايلاندية ما يزيد على مائة شاب مسلم من فطانى بالبنزين ، كما سجنت وقتلت العديد من علماء الدين المسلمين .

لقد التقيت فى دار الاعتصام بوفد من فطانى عائدا من تركيا حيث انعقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية ، وكدت لا أصدق ما سمعت ، إن المؤتمر رفض قبول الوفد ، ولو كمستمع لا أكثر .. ولماذا لا أصدق ؟ فالمؤتمرات الرسمية على مستوى الأنظمة الحاكمة لمجرد الاستهلاك أو أنها تنعقد ذرا للرماد فى العيون .

● ثم بورما البوذية :

بورما أيضاً إحدى دول جنوبى شرقى آسيا ، وهى مكونة من تركيبة عرقية عجيبة ، وبلغ سكانها فى نهاية القرن الرابع

عشر الهجرى اثنين وثلاثين مليونا ويبلغ عدد المسلمين أكثر من ثلاثة ملايين .

إن محنة الأقلية المسلمة فى دولة وثنية مثل بورما ، مثيرة للأسى ، فمحنة الأقليات المسلمة ، سواء فى ظل الصليبية أو الشيوعية ، تتسم معظمها بالإرهاب والاضطهاد الداخلى ، وأحيانا بحروب الإبادة التى تشن على المسلمين ، أو بإجراء عمليات تنقلات بين السكان ، للإقلال من كثافة السكان المسلمين فى منطقة ما ، كما هى الحال اليوم فى الصين والاتحاد السوفيتى .. ولكن بورما لجأت إلى أسلوب همجى ، لم تسبقها إليه سوى إسرائيل ، أسلوب الطرد من البلاد .. من الوطن ، ومنذ أمد غير بعيد ، قامت حكومة بورما الوثنية بحملات شرسة ضد المسلمين ، أثمرت عن طرد أكثر من مليون مسلم ، فروا بحياتهم إلى بنجلاديش ولا يزالون ، بعد أن مات من مات منهم فى الطريق .

إن مسلمى بورما يتعرضون لاضطهاد وصل إلى درجة الإبادة الجماعية ـ كما جاء فى نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ـ لقد وصلت السلطات البوذية البورمية مبلغ التبجح ، وهى لا تقيم وزنا للعالم الإسلامى الذى بلغ سكانه ملياراً من البشر أو يزيدون

إن هذه السلطات التى انحطت إلى الدرك الأسفل من الفاشية ، تعتبر مسلمي بورما أجانب برغم أنهم وآباءهم وأجدادهم، وأجداد أجدادهم ولدوا فى بورما ونشأوا وشبوا على أرضها ، ودفن موتاهم فى أرضها .

طبقت هذه السلطات الفاشية قوانين الهجرة على المسلمين ، وتم تسجيلهم ـ كأجانب .. بدأ هذا الاضطهاد فى السنوات الأولى من الاستقلال وحيث توالت عمليات الاضطهاد والإبادة الجماعية ، فأحرقت القرى والمساجد فى عديد من المناطق الإسلامية ، كما اشتدت فى السنوات الأخيرة حدة تحدى السلطات البورمية ، وفى بنجلاديش المجاورة لبورما أكثر من ٣٠٠ معسكر للاجئين المسلمين .. يواجهون الموت البطىء .. ومما يثير الأسى أن الفصائل الشيوعية فى بورما تنتهز فرص الحملات الشرسة التى تمارسها السلطات البوذية ، فتتدخل هى وتقوم بعمليات سلب ونهب .. لأن الشيوعيين دون مستوى أن يكونوا أهلا للقيم والأخلاق .

● **وأكرر القول هنا :**

لا داعى لأن نسأل عن الأمة المسلمة ، وأين هى من هذه الجرائم التى ترتكب فى حق المسلمين فى تايلاند وبورما ..

وغيرهما .. ولكن هناك أمرا يبعث على الخجل ، بل والأسى الممض ، والأنظمة العربية هى التى ترتكب الإثم تحديا لله وللإسلام وللشعوب المسلمة :

هذا الإثم الذى ترتكبه الأنظمة العربية البترولية ـ على وجه أخص ـ هو فتح أبواب بلادها للعمالة الوافدة من آسيا ، ولا سيما من الفلبين ، وتايلاند وبورما ، بل إن الإثم الأكبر هو أن بترول المسلمين يصل إلى هذه الدول التى تشن حروب الإبادة على المسلمين هناك ، وهذه العمالة الأجنبية صليبية كانت أم بوذية تحل محل العمالة العربية ، تؤثر تأثيرا خطيراً على المدى البطىء ، وبخاصة العمالة التى تعمل فى المنازل من الجنسين ، والمغزى ليس مبهما .

وتتعلل الأنظمة ، بأن هذه العمالة أرخص من العمالة العربية ، والذى لا تقوى على التصريح به ، هو أن هناك ضغوطا أمريكية من وراء الستار تؤدى دورها وكم حزنت وأنا أستمع إلى وزير داخلية لدولة عربية يتحدث عن الأخوة العربية والإسلامية ، بينما كانت الشرطة تأمر أرباب الأعمال بإحلال العمالة الوافدة من الشرق الأقصى محل العمالة العربية .

ومنذ شهور كنت فى الطائرة المصرية ، وعليها أكثر من ثلاثمائة مصرى فى طريقهم إلى دولة عربية للعمل هناك ، وفى نفس الساعة وصلت المطار طائرة تحمل عمالا من الفلبين وتايلاند وبورما وكوريا .. وبينما أنهيت الإجراءات لهم فى أقل من نصف ساعة ظللنا نحن المصريين ساعات ثلاثا ، ولم أطق صبرا ، فتقدمت من ضابط الجوازات قائلاً له : ياسيدى ما جئت لأبحث عن عمل ، وإنما أنا مدعو للاشتراك فى مؤتمر . وفى نهاية المؤتمر قلت لوزير الشئون والعمل أيليق بمطاركم أن يعامل المصريين هذه المعاملة ، ومصر معكم فى حربكم . واعتذر الوزير مبتسما .

● **وأخيراً .. وليس آخرا :**

إن محنة الأقليات المسلمة فى تايلاند وبورما تجل عن الوصف .. وحروب الإبادة التى تشن عليها ، وممارسة الإرهاب النفسى لم تتوقف بعد .. والذى توقف تماما هو إحساس الأمة المسلمة إزاء محنة الأقليات ، فالأنظمة لها ما يشغلها ، والشعوب مغلوبة على أمرها ، والهيئات الدولية مجرد مخدر لا أكثر ولا أقل .

● ● ●

محنة الأقليات المسلمة فى الغرب

تمهيـــد :

فى سائر دول أوروبا لنا أقليات مسلمة ، وأكثريات مسلمة أصبحت وقد تحولت إلى أقلية واقعا ، كما هو الشأن فى ألبانيا ، وبعض الجمهوريات التى اغتصبتها الشيوعية فى يوغوسلافيا .

كذلك أصبح لنا أقليات مسلمة فى استراليا والأمريكتين ، ولكن الأقليات هنا وهناك على درجة واحدة من حيث الكيان الذاتى ، ومن حيث المحنة أيضاً .. ففى استراليا والأمريكتين مثلا تتشكل الأقليات المسلمة ، من مغتربين مسلمين ، ومن مواطنين اعتنقوا الإسلام ، ومثل هذا موجود فى بعض دول أوروبا ، وفى البعض الآخر تتكون الأقليات المسلمة ، من مواطنين تخلفوا بعد أن رحل الإسلام عن بلادهم ، كما هو الشأن فى صقلية ، وقبرص ، وبلغاريا ؛ بالإضافة إلى

الجمهوريات الواقعة فى روسيا البيضاء ، أى الأوروبية .. وفى أسبانيا على وجه أخص .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن مصادر المحنة التى تعيشها الأقليات المسلمة هناك تكاد تتركز فى الشيوعية والصليبية ، والنشاط الصهيونى يؤدى أخطر الأدوار فى هاتين الدائرتين ، ليكون معهما ثالوثا بغيضا يخطط لتصفية الوجود الإسلامى موضوعا ولا مانع من الإبقاء على الشكل فى بعض المناطق أو البقاع .

وهناك مسألة يجب ألا تغيب عن أذهاننا :

هى مسألة الأقليات القليلة العدد نسبيا ، وعلى سبيل المثال : فى النرويج عشرة آلاف مسلم ، وفى السويد خمسة وعشرون ألفا ، وفى فنلندا أقل من ثلاثة آلاف مسلم ، وقد اعترفت الحكومة بالإسلام فى الأخيرتين .. أقول إن محنة مثل هذه الأقليات هى محنة ـ إهمال ـ أكثر منها محنة ـ اضطهاد ـ ومعظم الذين يشكلون الأقليات المسلمة من

المسلمين المهاجرين من تركيا وباكستان ويوغسلافيا وألبانيا ، وليس من المنطق عدم الاهتمام بمحنة ـ الإهمال ـ من العالم الإسلامى ، لأن فى هذا تقليصا لظل الإسلام فى تلك البلاد .

وليس معنى هذا أن هذه الأقليات لا تواجه أية تحديات على الإطلاق ، ومن أى نوع كان ، من القوى المعادية للإسلام التى تتحرك دائما لتعوق مسار الإسلام فى أى مكان ، ولها عاملون نشطاء فى سائر الأجهزة الرسمية وغير الرسمية .

ولنبدأ بأوروبا :

فى المملكة المتحدة يبلغ عدد المسلمين أكثر من مليون ونصف ، معظمهم من دول الكومنولث البريطانى ، بينما يبلغ عدد اليهود زهاء نصف المليون ، والقانون البريطانى يكفل حرية العبادة .. ولكن إزاء انتشار الإسلام هناك صدرت القوانين ابتداء من عام ١٩٦٥ م وما بعدها بالحد من هجرة دول الكومنولث التى يهاجر المسلمون منها إلى بريطانيا .

والحق يقال : إن فى بلاد الإنجليز العديد من المؤسسات

الإسلامية التى تعمل فى بريطانيا .. لكن هناك العديد من التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية هناك .

وقد أشار إلى بعضها كتاب : « الأقليات المسلمة فى أوربا » للأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، نقلا عن جريدة الشرق الأوسط ١٩٨٢ م ، قال : « يواجه المسلمون فى بريطانيا العديد من التحديات ، من أبرزها العنصرية والتعصب ، ولقد جاهد المسلمون طويلا من أجل اعتراف بريطانيا بالأقلية المسلمة ، وهذا الاعتراف سيوفر على المسلمين حل مشكلة طالما عانوا منها ، وهى مشكلة عدم تدريس الدين الإسلامى لأبنائهم فى المدارس الحكومية ، وهذه مشكلة لها خطورتها على أبناء المسلمين فى بريطانيا .. ومن التحديات : الزواج المختلط ، وهذا له تأثيره على الطفل المسلم ومن أبرز التحديات جهود التنصير ، ونشاط اليهودية والقاديانية » ..

وأضيف هنا أن القاديانية تجد صدرا رحبا من السياسة الإنجليزية ، منذ أن كانت بريطانيا تستعمر الهند قبل

الفصل ، وهى أخطر فى رأيى من الصهيونية والصليبية معا ، لأن عداوتهما للإسلام سافرة ، لا تنطلى على مسلم ، على عكس القاديانية التى تنسب نفسها إلى الإسلام زورا .

وفى فرنسا يعيش مليونان من المسلمين ، يمثلون المرتبة الثانية من حيث عدد السكان ، يليهم البروتستانت حوالى مليون ثم اليهود حوالى سبعمائة ألف ، ولقد بدأ الإسلام اتصاله بفرنسا عن طريق وجود الإسلام فى الأندلس فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى الهجرى ، ثم تجدد الاتصال بفرنسا عقب الحرب العالمية الأولى ، وقد هاجر بعض مسلمى شمالى أفريقيا إلى فرنسا ، ومن بلاد المغرب وحدها سبعة أعشار عدد المسلمين ، والباقون من الجزائر وتركيا ويوغسلافيا والبلاد العربية الأخرى .. والتحديات التى تواجه الأقلية المسلمة فى فرنسا هى تقريباً نفس التحديات التى تواجه الأقليات المسلمة فى غربى أوروبا ، ومنها فرنسا .

إلا أنه فى فرنسا ظاهرة مميزة ، ظاهرة التعصب المقيت ،

ومصدره العناصر الفرنسية الأصل ، التى عادت إلى فرنسا بعد استقلال دول شمالى أفريقيا بعد استقلالها عن فرنسا ، وشىء بدهى ، أن تكنّ هذه العناصر العداوة للإسلام ، وكانت تتوهم أنها ستظل إلى الأبد فى أرض الإسلام التى نبذتهم .

وفى كتاب : « المسلمون فى أوروبا وأمريكا » للكتانى :

« وهناك ـ أى فى فرنسا ـ صليبية لا تزال عالقة بالأذهان ، وتعود جذورها إلى الحرب الصليبية ، والتى شاركت فيها فرنسا بنصيب وافر ، وتركز البعثات التنصيرية جهودها على أبناء الأقلية المسلمة ، ولقد تأسست جمعية تسمى : « لوفر دى نتردام دى سالاران » ١٩٥٧ م ، وهدفها إرجاع البربر الأمازيغ إلى الإسلام ـ كما تدعى ـ وتنظم لهذه الغاية رحلات صيفية لأبناء البربر لكى تحقق غايتها ورصدت لهذا الهدف مبالغ كبيرة .

ولا شك أن الصهيونية والقاديانية والبهائية تلعب أخطر الأدوار فى محاولة منها لتصفية الوجود الإسلامى فى فرنسا

ـ أو على الأقل تقليص ظله ، وهى لا تعدم أخس الوسائل لتصل إلى غايتها .

وفى المجر أقلية مسلمة تعرضت للاضطهاد المسيحى ، فعندما خرج الأتراك من المجر ، تعرض المسلمون والمنشآت الإسلامية إلى التعصب الدينى ـ كما يقول كتاب : « الأقليات المسلمة فى أوروبا » ـ فأرغم المسلمون على الهجرة أو اعتناق المسيحية ، وحطم المتعصبون الآثار الإسلامية ، ثم ازداد الاضطهاد للمسلمين ، عندما حكمت الشيوعية المجر ، وهذا شىء طبيعى .

وبالنسبة لليونان :

التاريخ يذكر لنا أن الأتراك حكموا اليونان عدة قرون ، وقد هاجر إليها الكثيرون من مسلمى الأتراك والبلغار والألبان ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى انحازت الصليبية الأوربية إلى جانب اليونان فى حروبها مع تركيا ، وانتهت باستقلال « اليونان » وفى معاهدة لوزان نص على تبادل

السكان بين الدولتين ، فعملت الدولة المنتصرة اليونان على طرد المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت هجرة المسلمين إلى تركيا وحدها أكثر من مليون وربع المليون من المسلمين ، وتعرض المسلمون الباقون باليونان لأشرس ألوان الاضطهاد .

ونتيجة لتبادل السكان بين الدولتين ـ كما يقول كتاب الكتانى : « المسلمون فى أوروبا وأمريكا » تناقص عدد المسلمين باليونان ، كانوا مليونا ونصف المليون ـ أى أكثر من ربع السكان ، وهم اليوم مائتا ألف مسلم .

وتشير المراجع التى بين أيدينا إلى أن وضع المسلمين اليوم فى اليونان ، وضع لا يحسدون عليه ، فاليونان تحاول تفسير معاهدة « لوزان » بينها وبين تركيا ، من طرف واحد ، لتمارس الضغوط على مسلمى اليونان لدفعهم إلى الهجرة ، إن هؤلاء المسلمين مواطنون يونانيون ، ولكن اليونان الصليبية تعتبرهم رعايا أو أجانب ، وتطبق عليهم قوانين تعسفية حسبنا أن نعلم أن المسلم لا يملك أن يبيع أرضه لمسلم ، بل ليونانى ، وقانون التعليم يمنع أن يتلقى أطفال المسلمين

تعليما دينيا إلا ساعتين فى كل أسبوع ، ولم تجد شيئاً النداءات التى وجهت ، ولا المذكرات التى رفعت إلى هيئة الأمم المتحدة ، بشأن القوانين اليونانية التى تنتهك أبسط حقوق الإنسان .

وكانت جزيرة كريت إسلامية منذ فتح مسلمى الأندلس لها عام ٨٢٥م ثم احتلها البيزنطيون عام ٩٦١ م وبدأ الاضطهاد الصليبى الشرس للمسلمين فى الجزيرة ، وبيعت الجزيرة إلى إيطاليا ، وضاعف الكاثوليك من اضطهاد المسلمين مما اضطر الكثير منهم إلى الهجرة ، بل لقد هاجر الكثير من الأرثوذكس الجزيرة إلى الدول المسلمة ، وهناك اعتنقوا الإسلام ، وعندما عاد الحكم الإسلامى عن طريق آل عثمان إلى الجزيرة عام ٩٦٩ م ساد التسامح الدينى وعاد المذهب المسيحى اليونانى مرة أخرى إلى الجزيرة ، وفى ظل التسامح الدينى الإسلامى ، اعتنق أكثر من نصف السكان الإسلام طواعية واختيارا .

ولم يهدأ للتعصب الصليبى الأوروبى بالا ، منتهزا ضعف

الدولة العثمانية فتدخل إلى جانب اليونان ، وفى خلال السنوات الأولى من حكم اليونان للجزيرة بدأ الاضطهاد الدينى ضد المسلمين ، مما اضطر إلى الهجرة منها أكثر من نصف مليون مسلم إلى تركيا وليبيا ومصر ، ولا يزال المسلمون الباقون الذين تقلص عددهم إلى أقل من الثلث ، يعانون الاضطهاد والتعسف .

ثم مأساة قبرص :

إن مأساة كشمير فى آسيا ، قريبة الشبه من مأساة قبرص فى أوروبا ، والفارق الذى يكاد يكون وحيدا ، هو أن التحدى فى مأساة كشمير تمارسه الهندوكية ممولا أدبيا وماديا وسياسيا من الغرب الصليبى والشرق الشيوعى ، بينما التحدى فى قبرص يمارسه الغرب الصليبى مباشرة بشتى أنواع الأساليب والقوى والمناورات ، ولا يمكن أن ننسى دور الثعلب البريطانى الذى وضع جذور المأساة ورواها بخبثه ودهائه ، قبل أن يرحل عن قبرص ، والدور الذى لعبته السياسة

البريطانية الصليبية فى قبرص ، هو نفس الدور الوقح الذى لعبته فى فلسطين .

فى أواخر القرن التاسع عشر وفى أعقاب احتلال بريطانيا لقبرص ، كان عدد القبارصة الأتراك ثلاثة أضعاف عدد القبارصة اليونانيين ، لكن السياسة البريطانية عمدت إلى تشجيع هجرة اليونانيين إلى الجزيرة ، وتهجير الأتراك منها إزاء أساليب التضييق والإرهاب ، وقبل أن ترحل بريطانيا كان عدد القبارصة اليونانيين أكثر من أربعة أضعاف القبارصة الأتراك .

وهكذا شاءت سياسة التفرقة العنصرية التى مارستها بريطانيا أن تعمل على تقسيم الجزيرة إلى شطرين : الشمال حيث يسكنه المسلمون ، والجنوب حيث يسكنه المسيحيون الذين استولوا على نصيب الأسد من الأرض والموقع الاستراتيجى ، ولم يكن ثمة مفر من أن يعلن القبارصة الأتراك قيام دولتهم فى عام ١٩٧٠ م ، وبعد عامين اعترف بها

مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الذى انعقد فى مدينة فاس بالمغرب عام ١٩٧٧ م ، وقبل ذلك ذاق المسلمون الأتراك ـ وبخاصة فى عهد القمص مكاريوس ـ ألوانا من الاضطهاد الذى بلغ شكل الإبادة وتدمير المساجد والمنشآت الإسلامية .

إن تركيا وحدها هى التى تقف إلى جانب القبارصة الأتراك فى دولتهم الناشئة ، أما بقية العالم الإسلامى فهو لم يقدم شيئاً ، سوى بعض القرارات والتوصيات التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ، وبرغم أن رابطة العالم الإسلامى بمكة ، ناشدت الدول الإسلامية ، أن تتخذ موقفا حاسما تجاه قبرص اليونان ، ولكن يبدو أن هذه الدول غير مستعدة لأن تعمل شيئاً أى شيء .

والحديث عن مسلمى أسبانيا :

إنه حديث ذو شجون ، مائة ألف مسلم يعيشون فى أسبانيا .. بعد أن كانت الأندلس دولة إسلامية منذ فتحها المسلمون عام ٩٣ هـ إلى أن سقطت غرناطة عام ٨٩٨ هـ

ونقض المسيحيون المعاهدة التى نصت على احترام الدين ، وكانوا قد أنشأوا محاكم التفتيش قبل المعاهدة بثلاثة عشر عاما ٨٨٥ هـ وبعد أن استتب لهم الأمر ، أصدرت المحاكم على المسلمين أحكاما بالموت حرقا ، ومصادرة أموالهم .

أنشأ هذه المحاكم التى سجلت أسود الصفحات فى تاريخ البشرية ، راهب حاقد يسمى توماس توركيمادا ، الذى حكم فى نطق واحد على ألفى مسلم بالموت حرقا ، وفى عهد خلفائه من بعده ازدادت المحاكم شراسة ، مما اضطر الكثرة من المسلمين على الفرار ، ومن بقى كتم إسلامه ، ومارست المحاكم البشعة شراستها أكثر من ثلاثة قرون ، ولم تلغ إلا فى عهد نابليون أواخر القرن التاسع عشر . والأقلية المسلمة فى أسبانيا تواجه تحديات تتمثل فى العداء المسيحى التقليدى بالإضافة إلى القاديانية .

●●●

● فى دائرة الشيوعية :

ما هو أدهى وأمر من دائرة الصليبية ، وكلتاهما شر ، وأشرس ما يواجه الأقليات المسلمة وهو ما يقع تحت نفوذ روسيا ، وما يقال عن محنة المسلمين فى روسيا الأسيوية يقال ـ وأكثر ـ عن محنة المسلمين فى روسيا الأوربية ، ومع أن الاتحاد السوفيتى دولة ذات منهج واحد وأسلوب واحد ، إلا أن الحكم الفاشى يضغط أكثر على الأقليات المسلمة فى القطاع الأوربى ، لأنه يستوعب شعوبا لا تعرف الاستكانة إلا مضطرة ، ومغلوبة على أمرها .

● فى حوض الفولجا :

سبع جمهوريات إسلامية ، بالإضافة إلى القرم ، ولقد عانت هذه الجمهوريات الكثير من الاضطهاد فى عهد المسيحية قبل مجىء الشيوعية ، وبخاصة فى عهد الإمبراطورة كاترين الثانية المتعصبة للمسيحية بشكل شرس ، فقد أجبرت المسلمين على تسجيل أسمائهم كمسيحيين فى السجلات

المسيحية ، ولما جاءت الشيوعية بدأت فى إعلان حرب الإبادة على الجمهوريات الإسلامية ، وهدموا معظم مؤسساتها الإسلامية .

وكانت القرم إحدى الجمهوريات ، ويشكل التتار المسلمون أغلبية سكانها ، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية صدر قرار من مجلس السوفييت الأعلى بإلغاء هذه الجمهورية ، وضمها إلى جمهورية أكرانيا السوفياتية ، ولقد عانى شعب القرم المسلم الكثير فى ظل الحكم القيصرى المسيحى المتعصب ، وفى ظل النظام الشيوعى ، ذاق شعب القرم من التتار الأمرين ، إن قوات الشيوعيين فشلت فى إخضاع هذا الشعب المسلم الأبى ، فلجأوا إلى حرب التجويع ، وفى حرب استمرت طيلة عام ١٩٢٢ م ضحى الشعب بستين ألفا ماتوا جوعا ، ومائة ألف قتلوا ، وخمسين ألفا نفوا إلى سيبيريا .

وفى عام ١٩٢٨ م قرر الروس أن يجعلوا من القرم الإسلامية موطنا ليهود روسيا ، وثار الشعب والحكومة معا ، ولكن الشيوعيين قبضوا على رئيس الجمهورية المسلم ونفذوا

فيه وفى أعضاء حكومته الإعدام ، وتم نفى أقل من خمسين ألفا من سكان شبه جزيرة القرم إلى منفى سيبيريا ، ولما كانت الشيوعية نزعة فاشية تلغى الضمير والأخلاق من دستورها غير المدون ، فقد اختلقت تهمة وجهتها إلى شعب شبه جزيرة القرم أثناء الحرب العالمية الثانية ، تدينه بالتواطؤ مع الألمان .

وبناء على هذه التهمة المختلقة من أساسها ، بطش الشيوعيون بالجمهورية الإسلامية وشعبها ، ألغيت الجمهورية وضمت إلى جمهورية أكرانيا ، وفى كتاب « القصة الحقيقية لحياة المسلمين فى ظل الحكم الروسى » لمحمد نور ، وفى كتاب « الدعوة للإسلام » للمستشرق أرنولد ، وفى غيرهما وصف دقيق للشراسة التى فاقت شراسة محاكم التفتيش .

إثر إلغاء الجمهوريات الإسلامية ـ شبه جزيرة القرم ـ شرد الشعب وأجبر على الهجرة الإجبارية إلى سيبيريا وأوزبكستان بخاصة ، وآسيا الوسطى ، وقد هرب أكثر من مليون وربع المليون إلى تركيا وأوروبا الغربية ، وبعضهم فى

بلغاريا ، ورومانيا ، وأعدم الكثير بلا محاكمة ، ولم يبق من خمسة ملايين من تتار القرم سوى نصف مليون أو أقل وهدم الروس ١٥٠٠ مسجد فى شبه جزيرة القرم ، والعديد من المدارس والمعاهد ، وبعد ربع قرن من المأساة فى سنة ١٩٦٧م قرر مجلس السوفييت براءة تتار القرم من تهمة التعاون مع الألمان ، وألغى قرار الاتهام السابق ، ولكن هذا قد جاء بعد فوات الأوان ، وتشريد شعب بأسره ، بعد إلغاء جمهوريته ، نتيجة تهمة باطلة ألصقت به .

إن أقل بوادر الإنصاف والعدل ، أن يعود المشردون إلى ديارهم ، وقد ثبتت براءتهم ، وحسبهم ما قدموه من ضحايا القتل ، ولكن أيا من الإنصاف والعدل ، لا يدور بذهن الشيوعية التى ألغت الضمير من وجودها .

- **وفى شمال القوقاز :**

جمهوريتان وثلاث ولايات ، ذاتية الحكم شكلا ، وتبلغ حصة المسلمين من سكانها حد الأغلبية ، حيث تصل نسبة

المسلمين فى بعضها ٨٠٪ من السكان ، وما يلقاه مسلمو هذه الجمهوريات والولايات الإسلامية من الاضطهاد الشيوعى هو نفس ما يلقاه إخوان لهم فى الجمهوريات الواقعة فى حوض نهر الفولجا . وشبه جزيرة القرم .

● **وفى يوغوسلافيا :**

أكثر من عشرين قومية ، ويصل عدد السكان أكثر من اثنين وعشرين مليوناً ، ونسبة المسلمين ٢٠٪ من الألبان والهرسك والبشناق والغجر ، والحقيقة أن الإسلام وصل إلى بعض هذه المناطق بعد فتح صقلية عام ٢١٢هـ ، وانتشر بشكل واسع مع الفتح العثمانى ، وفى عهد الحكم النمسوى قاسى المسلمون ألواناً شرسة من الاضطهاد ، وقد قاوم المسلمون النفوذ النمسوى ، واشترك معهم فى المقاومة الأرثوذكس ، وما أن ظهرت الدولة الصربية المسيحية بعد التحرر من الاستعمار النمسوى ، غدر بهم الأرثوذكس بعد الاستقلال ، ومارسوا لوناً بشعاً من المعاداة للمسلمين .

وحسبنا أن نذكر أنه كان فى العاصمة ـ بيوجراد ـ وحدها حوالى ٣٠٠ مسجد و٣٠٠ كتّاب ، والعديد من المدارس الإسلامية ، وقضى الأرثوذكس على كل هذه ، وأقاموا على أنقاض المساجد الفنادق والمسارح ، بل أن البرلمان اليوغسلافى الحاضر ، أقيم على أنقاض مسجد بتار أجمل مساجد العاصمة التى لم يبق بها سوى مسجد بيرقلى .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، حاول المسلمون اليوغسلاف أن يستردوا مكانهم ، لكن المارشال تيتو قابلهم بحرب شرسة ، وفى البوسنة والهرسك قتل أكثر من مليون مسلم ، والحق أن الأقلية المسلمة اليوم تنعم بشىء من الاستقرار برغم وجود النظام الشيوعى الحاكم . ولعل السياسة هى التى منحتهم هذا رغبة فى كسب صداقة الدول العربية والإسلامية .

وأخيراً .. وليس آخراً : بلغاريا :

عدد سكان بلغاريا تسعة ملايين نسمة ، وعدد المسلمين أكثر من مليون ونصف المليون ، كانت دولة إسلامية ظلت تحت حكم الأتراك خمسة قرون ابتداء من أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، وتدخلت روسيا القيصرية ضد تركيا وتوصلت إلى منح بعض المناطق حكماً ذاتيا ، ولما تحولت بلغاريا إلى دولة شيوعية عقب الحرب العالمية الثانية . بدأ عهد الاضطهاد للأقلية المسلمة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين أيام حكم الأتراك ، كانوا أكثرية ، وبعد استقلال بلغاريا ١٩٠٨م بدأ الاضطهاد ضد المسلمين مما اضطرهم إلى الفرار من عسف الحكم الصليبى بدينهم . ثم جاء التسلط الشيوعى ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ فكان أدهى وأمر .

والمراجع التى بين أيدينا والتى استقى منها موجزاً مؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، وما دوّنه .. هذه المراجع كلها كتبت ما ظهر للعيان ، أما ما بطن فالله وحده أعلم به .

إن الإسلام يتعرض لحملات منظمة شرسة من النظام الفاشى الذى فاق النازية شراسة بمراحل ، وعلى سبيل المثال ـ

لا الحصر ـ فليس للمسلمين حق ممارسة شعائرهم الدينية وغير مسموح لهم باقتناء المصاحف والكتب الدينية . والسياسة الشيوعية ، تهدف إلى تذويب مليون ونصف المليون من المسلمين فى المجتمع البلغارى ، أرغموا على تغيير أسمائهم الإسلامية ، ومنعوا من الهجرة خارج بلغاريا ، وأجبر بعضهم على السكنى فى مناطق معزولة ، أما المناطق الإسلامية التى لا تزال قائمة ، فقد حرمت من أى تطور اقتصادى أو اجتماعى ، والضحية الأجيال القادمة من أبناء المسلمين .

ولنا أن نتصور :

كان فى بلغاريا زهاء ألف ومائتى مسجد ، واليوم فى صوفيا العاصمة ثلاثة مساجد ، تحول أحدها إلى متحف ، والثانى إلى كنيسة ، والثالث مغلق . ونتيجة لذلك ، ضعف التعليم الدينى ، وبخاصة بعد إغلاق المدارس ، ولم يبق سوى بعض الكتاتيب الملحق بالمساجد ، وبهذا تكون السياسة الفاشية البلغارية لا تستهدف ـ فحسب ـ محاصرة الإسلام والمسلمين ، بل التصفية المادية والمعنوية لهما .

ويقول الكتانى فى كتابه : « المسلمون فى أوروبا وأمريكا » :

« وجدير بالذكر أن الاضطهاد فى بلغاريا ، يوجه ضد المسلمين وحدهم ، بينما يستثنى من ذلك المسيحيون ، فيحرم

على المسلمين لبس الزى الإسلامى ، وخصوصاً النساء ، ويمنع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم أو صوم رمضان ، ولا تبنى مساجد جديدة ، والمسجد الذى يتوفى إمامه يغلق ، ولا يدفن المسلمون موتاهم فى مدافن خاصة بهم ، بينما تحترم الحكومة ـ البلغارية الرهبان ، وتعطيهم حرية التعبد فى الكنيسة .. فالحرب ضد الإسلام وحده ، وهذا ميراث قديم ، ورثه البلغار عن التعصب الدينى » .

والعبارة الأخيرة من كلمات المؤلف حق لامراء فيه .. فالبلغار لم ينسوا بعد أن الإسلام قد غزا صليبيتهم فى عقر ديارهم ، وبمجرد أن استقلت دولتهم اجتروا كل أحقادهم الصليبية ضد البقية المسلمة ، ومارسوا حيالها شر ألوان الاضطهاد ، وعندما انقشع الحكم الصليبى ليحل محله الحكم الشيوعى ، لم ينقشع سوى الشكل ، وبقيت رواسب الجوهر ، وتضاعف الاضطهاد ضد الإسلام والمسلمين ، وصار يمارس بعقلية صليبية ، وأسلوب شيوعى « والدليل أنه بينما تدلل المسيحية ـ فى ظل نظام شيوعى ـ تشن الحملات الضارية ضد الإسلام والمسلمين ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، حتى فى أحط عصور الهمجية ، وبأساليب فاقت أساليب محاكم التفتيش فى العصور الوسطى .

وفى هذه الأيام تظهر على السطح مأساة الإسلام والمسلمين فى بلغاريا بعد أن امتلأت الكأس حتى فاضت ، وحتى بلغ السيل الزبى - كما يقولون - وليس ذلك - بالطبع - على مستوى الإعلام الرسمى صحافة وإذاعة ، وإنما على مستوى المجلات الإسلامية المحدودة أهمية ونشراً وتوزيعاً ، ومما يبعث على الأسى أن الإعلام الرسمى ، يهتم بإسراف بمشكلة العنصرية فى روديسيا وجنوبى أفريقيا ولا يمل الهجوم على الأقلية البيضاء التى تشن حرب الإبادة على الأفريقيين أصحاب البلاد ، بينما تتحرج وسائل الإعلام فى الدول العربية والإسلامية أن تشير - ولو همساً - إلى محنة شعب أريتريا ، أو مسلمى الهند ، أو مسلمى بلغاريا برغم أن الجريمة واحدة .

ولك أن تتصور - مثلاً - ما نشرته جريدة النور القاهرية فى ٥ مايو ١٩٨٦ يقول الخبر : « ندد تقرير لمنظمة العفو الدولية بالإجراءات القمعية التى تقوم بها السلطات الشيوعية فى بلغاريا ضد المسلمين البلغار ، ووصفها بأنها من أكثر الأعمال إثارة للخجل والشعور بالعار فى أوروبا .

« وذكر التقرير أن السلطات البلغارية رفضت السماح لوفد يمثل المنظمة بزيارة أماكن وجود المسلمين ، والأقلية التركية فى بلغاريا . وأشار إلى أن الحكومة البلغارية تستخدم

القوة المسلحة لإجبار المسلمين على تغيير أسمائهم وأزيائهم وتقاليدهم الإسلامية .

وأقول : أليس من العار أن تتدخل منظمة العفو الدولية من أجل مأساة الأقلية المسلمة المضطهدة فى بلغاريا ، والعالم الإسلامى بأسره يغط فى سبات عميق ؟

لقد ذكرت « الأحرار » القاهرية المعارضة فى ١٩ مايو ١٩٨٦م أن الدكتور سعد أمين عز الدين عضو مجلس الشعب قد تقدم بسؤال إلى الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، عما جاء بنشرة لجنة مسلمى بلغاريا تحت عنوان : « المسلمون المحطمون فى بلغاريا » وعن موقف مصر قائدة العروبة والإسلام تجاه هذا المسلك الإجرامى اللا إنسانى من دولة بلغاريا » ؟

ونحن لا نملك إلا أن نقول للنائب المسلم الغيور :

« شكر الله سعيك ، ومعذرة إذا نحن ذكرناك بقول الشاعر :

لقد ناديت لو أسمعت حيا　　　ولكن لا حياة لمن تنادى

صحيح أن مأساة بلغاريا قد أثيرت فى مجلس الشعب المصرى فى ١٩٨٦/٥/٢٠م ، وقال مقدم السؤال : « إن مصر يجب أن تقطع علاقتها السياسية مع بلغاريا احتجاجاً على هذه التصرفات » وقال العضو محفوظ حلمى : « إن جماجم المسلمين فى أفغانستان وبلغاريا تقول لكم « أين أنتم ؟» .

أما السيد الدكتور وزير الخارجية فقد قال : « إن الاتصالات مستمرة حالياً بين مصر وتركيا للتنسيق بين المواقف بهذا الشأن ، وهناك قرار من المؤتمر الإسلامى لتشكيل فريق اتصال يتقصى الحقائق حول هذه المشكلة ، ونحن نتعاون مع هذا الفريق » وأكد سيادة الوزير : أن مصر لا تتوانى عن بذل الجهد وإجراء الاتصالات مع الحكومة البلغارية لحل هذه المشكلة .

ويلاحظ أن السيد وزير الخارجية ، استعمل لفظ « مشكلة » وكان حريصاً على ذلك ، وبذلك تصبح المأساة مجرد مشكلة نبحث لها عن حل فى الإطار السياسى أو الدبلوماسى ـ وهذا لا يهم ـ وإنما المهم ، أن مثل هذه المناقشات سواء أتمت فى البرلمانات العربية والإسلامية ، أم فى أروقة المؤتمر الإسلامى أو أروقة الجامعة العربية ، مثل هذه المناقشات تتم لمجرد الاستهلاك ، ولاشىء أبعد من الاستهلاك ، فالنوايا غير متوافرة ، وإن توافرت فهى ليست جادة ، وإن أصبحت ـ جدلاً ـ جادة فلن تكون حاسمة ، ولا يبقى إلا أن تظل عبارة جرير تتراقص أمام أعيننا : « أبشر بطول سلامة يا مربع »

وبعد :

فالشيوعية تعمل بحزم وجد ، لاستئصال شأفة الإسلام ،

تعمل سافرة ومتحدية لأنها لم تضع فى اعتبارها أدنى وزن للأمة المسلمة ، التى فتحت بلادها للشيوعية أو بديلها ، الاشتراكية .. وأن تقوم لها أنظمة معترف بها ، ويحتل الأعضاء من عملائها مناصب خطيرة .. ومرموقة فى الدولة ، فى الوقت ذاته لا تسمح فيه قانوناً بقيام حزب سياسى إسلامى .

وتعالوا بنا إلى ما نشرته فى ١٩٨٦/٤/٢٦م مجلة « المسلمون » التى تصدر فى لندن تحت عنوان : « خطة روسية » لـ « سفيتة » المسلمين ، وهو تحقيق أجرته الصحيفة مع الدكتور عبد الرحمن النقيب ، الباحث بجامعة المنصورة ، مصر ، وبعض عناوين التحقيق تقول : تحويل المساجد إلى نواد ودور للسينما ـ الجوامع لا تفتح إلا للمسلمين الزوار فقط ـ أكبر ميزانية فى العالم لا حتواء المسلمين ، يرصدها الاتحاد السوفييتى ، أما محتوى التحقيق فهو مما يستفز الأعصاب ـ أعصابنا نحن ـ أما أعصاب الذين لا يزالون يعتزون بصداقة « الدب الأحمر » فالاستفزاز لا يعرف الطريق إليها ، لأنها تجمدت ضمائرها وأحاسيسها .

محنة الأقليات المسلمة

الحقيقة .. بلا رتوش

فى الجزء الأول من سلسلة : الأقليات المسلمة .. أجرى المؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، تحليلاً لمعنى الأقلية أكدفيه أن رسالة الإسلام قد شملت المثل والقيم الإنسانية للمسلمين ، وصورت مبادىء الإسلام فى نصرة الضعفاء ، وجعلت من الكيان البشرى جسدا واحدا ، لا يعرف الفوارق العرقية ، ويمقت التفرقة العنصرية ، بل ينبذ التمييز بين الناس على أساس ألوانهم أو عناصرهم أو مراتبهم ، أو طبقاتهم الاجتماعية ، وكل متماسك : لا فوارق .. ولا مراتب إلا فى تقوى الله « وهنا تتجلى عظمة الإسلام فى نظرته الشمولية للإنسانية » ..

ويشير المؤلف :

إلى أن هناك فئة من إخواننا تعانى من الاضطهاد ، وتقاسى من هموم التفرقة فى مجتمعات تختلف عنها فى العقيدة ، وتغايرها فى القيم والسلوك الاجتماعى ، وينظر لها من خلال ألوانها وعناصرها ، تلكم الفئة هى : « الأقليات المسلمة » جماعات مستضعفة ، مبعثرة فى أنحاء العالم ، ولكنها تشكل فى مجموعها ثلث سكان العالم الإسلامى ، وتكون فى جملتها

أكثر من ثلثمائة مليون نسمة ، تعيش فى محيط بشرى مضطرِب الأمواج ، تنهشه قوى الشر من مختلف الأهواء والأغراض ، تيارات مختلفة بين كفر وإلحاد ، وشرك بغيض ، صفات وحدت قوى الشر وكتلت بغض الخير ، لتضطهد تلكم الأقليات ، فأعلنت عليها حروبا مستترة أحيانا ، ومعلنة أحياناً أخرى ، ونتج عن ذلك ألوان من المعاناة ، وصنوف من العزلة فى مجتمعات لا ترحم الضعفاء .

ثم يعرض المؤلف للتحديات التى تواجه الأقليات المسلمة . ويتساءل : لماذا الأقليات المسلمة ؟

ويرى أن أهم دعامات الإجابة عن هذا السؤال هى : تشكيل الأقليات المسلمة لثلث سكان العالم الإسلامى ، تعيش فى أوطان تختلف فيها صنوف التحديات التى تختلف بين إلحاد وزندقة ، ومذاهب وضعية ، وفلسفات لاهوتية ، مدعومة بمختلف صنوف التبشير ، وبنفوذ السلطات الحاكمة ، أو بالأكثرية العددية أحياناً أخرى ، ومُثل هذا يبرز واضحا فى قارة آسيا ، أما فى أفريقيا فإن الأقليات المسلمة فيها تواجهه ألواناً أخرى من التحديات أبرزها صراع الدعوة الإسلامية ضد الوثنية ، وهنا تبرز على المسرح جهود البعثات التبشيرية التى اتخذت من أفريقيا بؤرة تجمع للانتشار بها منذ ما ينيف على قرن ونصف قرن من الزمان .

ولا داعى لأن نشير إلى أن جهود المبشرين مدعمة بأموال طائلة فى كل مكان ، وليس فى أفريقيا وحدها ، وهذا الدعم يعطيها مرونة فى الحركة ، ولكن المهم هو أن الماركسية أصبحت عنصراً من عناصر التحدى للإسلام فى القارة السوداء أخيراً ، وهذا قد أضاف عبئا جديداً فى التحديات التى تواجه الأقليات المسلمة ـ كما يقول المؤلف .

وفى أوروبا : تواجه الأقليات المسلمة بها ألواناً من التحديات ، انصبت أول الأمر على صراع صليبى استغرق عدة قرون ـ كما يرى المؤلف ـ وخرجت الدعوة الإسلامية منه بأنصار لها من شعوب شرقيها وجنوبيها ، إلا أنه فى مستهل القرن العشرين تحولت التحديات إلى صراع مذهبى ، تحدى الإسلام والمسيحية معاً .

أما فى الأمريكتين فلون آخر من التحديات ، أبرز صفاته العنصرية التى تقوم على اللون أحياناً ، وعلى الدين أحياناً أخرى ، وهكذا تعانى الأقليات المسلمة من مختلف ألوان التحديات ، مما يجعل القضية تأخذ أبعاداً عنصرية ، والإسلام ضد التفرقة بين البشر .

ويشير المؤلف إلى المعلومات المضللة ، مؤكداً : أن البيانات المستمدة عن الأقليات المسلمة ، معظمها عن مصادر منحازة ضدها ، فالمصادر الغربية إنما تكتب بعاطفة صليبية أو

يهودية ، لها خلفية حاقدة على الإسلام والمسلمين .. كما أن البيانات الحكومية الرسمية عبر سلطات ملحدة ، يهمها ـ بالدرجة الأولى ـ تحطيم القيم العقائدية ، ليتحول مجتمعها إلى الولاء المذهبى ، فتحاصر المجتمعات الإسلامية بستائر زائفة ، تجعلهم فى عزلة ، لتقدم منها طعماً لحملات التشكيك والإلحاد ، حتى تنمحى شخصيتهم الاجتماعية ، ويدخلوا مرحلة الذوبان فى مجتمع الأكثرية .

هذه هي الحقيقة المجردة بلا رتوش ، بل إنها الحقيقة غير الكاملة ، لأننا لا نزال عاجزين عن تصور الحقيقة الكاملة غير المنقوصة ، بسبب العزلة التى فرضتها قوى الشر من أعداء الإسلام على معظم الأقليات المسلمة ، وبخاصة ماكان منها خلف الستار الحديدى فى الدول الشيوعية ، بل ومن كان منها تحت سيطرة أنظمة شيوعية فى دول غير شيوعية .

وحتى مع هذه الحقيقة المجردة والمتواضعة ، تمثل الأقليات المسلمة مأساة يندى لها جبين العالم الإسلام المعاصر ، الذى أصبح يعيش فى غيبوبة مزمنة لا يفيق منها أبداً ، وبالرغم من أن الأقليات المسلمة تواجه اليوم حروباً إبادية شرسة ، إلا أن العالم الإسلامى قد فقد الإحساس بها ، وليس فى مقدوره أن يحس بها .

وبالرغم من أن محنة الأقليات المسلمة ، تستصرخ العالم الإسلامى لكى يحاول التدخل جهد استطاعته ، لكن العالم الإسلامى ليس لديه أدنى شىء من الاستعداد لمجرد الإحساس ، وبالطبع ليس لديه أدنى تفكير فى التدخل ، وبخاصة أنه ليس لديه خطة عمل للتدخل ، وإزاء هذه السلبية المطلقة التى يستمرئها تتضاعف محنة الأقليات المسلمة فى العالم يوما بعد يوم ، بل وساعة بعد ساعة .

صحيح أن بعض الهيئات الإسلامية ، تبدى إحساسها بالمحنة التى تعيشها الأقليات المسلمة .أحيانا ..ولكن هذه الهيئات المشكورة على الجهود التى تبذلها ، وإن كانت ممولة ماديا ، إلا أنها غير مدعمة سياسيا من أنظمة العالم الإسلامى ، ولا مدعمة أدبياً من الهيئات السياسية الدولية ، كمنظمة الأمم المتحدة ، على عكس مجلس الكنائس العالمى على سبيل المثال .

● **والخلاصة :**

أن الحقيقة المجردة بالنسبة لمحنة الأقليات المسلمة ، إنما تحتاج إلى بسط أكثر .. لكن المقام والحيز المحدد لا يسمحان ، يضاف إلى ذلك : أن الأعصاب لا تحتمل ، فالمحنة بشتى جزئياتها ، وبشتى ظروفها وملابساتها

وأحوالها تهيج الأعصاب . وبخاصة إذا كان حامل القلم ليس هاويا ولا محترفا ولا طالب شهرة ، ولا ساعيا إلى جاه ، لأنه يكتب من وحى إيمانه وعقيدته بكل مشاعره وأحاسيسه ، وليست النائحة كالثكلى كما فى الحديث النبوى الشريف .

والقضية لم تنته بعد :

فالحديث عن الإحساس المفقود بالمحنة ، وعجز العالم الإسلامى عن التدخل العملى الجاد ، للتخفيف على الأقل ـ من وطأة المحنة إذ يعتبر كلاهما محنة قائمة بذاتها .

الحديث عنهما فى حاجة إلى بسط موجز أيضاً .

● ● ●

المحنة .. والإحساس المفقود

منذ أكثر من عشرين عاما ، قررت حكومة السودان المدنية ، طرد ثلاثة قساوسة ، ضبطوا متلبسين بنشاط ضد أمن السودان مثير للفتنة ، وقبل أن تنتهى المدة المحددة لمغادرتهم البلاد ، قامت الفاتيكان بضغوط سياسية أدت إلى تدخل سفراء بعض الدول الأوروبية ، بل إن وزير خارجية لبنان سافر بنفسه ورجا حكومة السودان أن تعيد النظر فى قرار طرد القساوسة الثلاثة .

وفى تلك الأيام أذاعت إذاعة لندن ، أن الكهنة البوذيين فى بورما ـ وفى عاصمتها رانجون ـ قادوا مظاهرة اتجهت إلى المساجد الثلاثة فى العاصمة ، لإشعال النار فيها ، أدى إلى وقوع إصابات خطيرة فى المصلين ، وقرأت الصحف الصادرة فى ذلك اليوم لعلى أقرأ شيئا من التفاصيل عن الحادثة الآثمة . وبالطبع ـ لم أجد شيئاً على الإطلاق ، وأذكر أننى كتبت تعليقاً على الخبر فى « مجلة الأزهر » ، ولم يكن هناك أى صدى لما كتبت .. إلا لدى سفارة بورما بالقاهرة .

والفرق واضح لا يحتاج إلى بيان ..

إن للعالم الإسلامى سفارات فى شتى دول العالم ، ولكن

هذه السفارات الإسلامية ليس من اختصاصها الاشتغال ـ ولا أقول الاهتمام ـ بما تعانيه الأقليات المسلمة من اضطهاد ، لأنها تتبع سياسة دولها ، تلك السياسة التى تملكها الأنظمة وحدها ، ولا شأن لا للإسلام ولا لشعوبه بها ، وللأنظمة مصالحها الذاتية ، التى تؤثرها على الإسلام وقضايا شعوبه .

منذ سنوات لقى قس فى أوغنده مصرعه بيده أثناء مطاردته ، وقد صدر الأمر بالقبض عليه بتهمة الخيانة للبلد الذى آواه وأكرمه فماذا حدث ؟ لقد شنت صحف الغرب جميعها حملة شعواء على رئيس أوغندة ـ يومئذ ـ عيدى أمين واتهمته بالوحشية والهمجية ، وما هو أدهى وأمر ، أنه خلال اجتماع لدول الكومنولث فى لندن ، وقد جرت التقاليد على أن تستقبل الملكة رؤساء دول الكومنولث الذين حضروا الاجتماع .. إلا أن ملكة بريطانيا صرحت بأنها غير ملزمة باستقبال رئيس دولة أوغندة بسبب حادث القس .

نحن نكلف الأشياء ضد طباعها إذا توقعنا من الأنظمة المرتبطة بمصالحها الذاتية ، أن تحس بمحنة الأقليات المسلمة ، مهما بلغت شراستها ، إن مجرد كتابة مقال فى صحيفة يهاجم رئيس دولة مسلمة بدولة أجنبية يستوجب من الدولة المسلمة سحب سفيرها ، وبأسرع وقت ، لكن قتل

الآلاف من مسلمى أريتريا أو الفلبين أو بلغاريا ، لا يستوجب من دولة مسلمة سحب سفيرها .

لقد أصبح واضحاً أن الأنظمة التى تحكم فى ديار الإسلام ، ليس لديها أى إحساس بمحنة الأقليات المسلمة ، بل وليس لديها أى تفكير فى أن تحس بها ، وذلك لأن هذه الأنظمة تنطلق من منطلق سياسى غير إسلامى ، والسياسة دائماً تقوم على المصلحة ، وتسير وفقها وجودا وعدما .

وقد يثار سؤال هنا : وأين الشعوب المسلمة ؟وأين هى من حديث الرسول - صلوات الله وسلامه عليه :« مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد .. إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ؟

إن الإجابة عن السؤالين : الأساسى والمشتق منه معاً ، ليست عسيرة ولكنها مريرة ، لأن هذه الشعوب المسلمة المعاصرة ، لم تعد تملك من أمرها شيئاً ، بل ما هو أشد مرارة ، أن إحساسها بالإسلام نفسه لم يعد يخطر لها على بال ، وإذا كان شعب الدولة الواحدة يفتقد الوحدة العضوية ، والوحدة الروحية ، فإن افتقادهما فى الشعوب المسلمة جميعاً شىء طبيعى .

● **وإذا نحن تساءلنا :**

هل الشعوب المسلمة على علم ـ أو أدنى علم ـ بمحنة الأقليات المسلمة فى شتى بلاد العالم ؟

فكيف يطلب منها أن تحس بهذه المحنة ؟

وإذا نحن اتهمنا هذه الشعوب بالقصور والتقصير ، فإن هذه التهمة يجب أن تلقى أولاً ـ على عاتق القادة الإسلاميين ، ولا أقول السياسيين ، لأن إلقاء التهمة على الآخرين غير مجدية ، فالشعوب التى تملك تمثيل الادعاء وكتابة حيثيات الاتهام غائبة عن الساحة .

وليس واردا هنا ان نلقى المسئولية عن القصور والتقصير فى التوعية ، على عاتق الجامعات والمعاهد والمدارس ، لأنها لا تملك استقلالا ذاتيا فى وضع المناهج ، بل إن مقررات التاريخ الإسلامى ، إنما تنعكس على الماضى ، ولا تعرض للحاضر والمستقبل .. وكذلك ليس واردا أن نلقى الاتهام على عاتق وسائل الإعلام ، لأنها ملك للسياسة وغير منفصلة عنها ، تخضع لها خضوع الريشة لمهب الرياح ، وليس فى ذهن السياسة حتى مجرد فكرة عن محنة الأقليات المسلمة .

وإزاء تجاهل السياسة فى العالم الإسلامى لمحنة الأقليات المسلمة ، وما أكثر ما تتسم وسائل الإعلام بالتعمية ، حتى

لا تسمع أنات المضطهدين فى ربوع العالم الإسلامى ، صارت نشرات المضطهدين هى مصدرنا الوحيد ، الذين أصبحوا يكتبون عن أوضاعهم أضعاف أضعاف ما يكتب عنهم .

لكن مما يؤسف له أبلغ الأسف ، أن بعض الأقليات المضطهدة ، لا تملك إصدار النشرات ، بل ولا حتى مجرد أنات تعبر عن شكواها ، كما فى الدول الشيوعية ، وكذلك فى أوغندة وكينيا .. إن كلا من روسيا والصين - على سبيل المثال ، تسمح لأفراد قلائل لأداء فريضة الحج فى كل عام ، لكنهم مزودين بعدد من المخابرات يعدون على المسلمين الحقيقيين أنفاسهم .

وبقى الحديث عن مسئولية قادة الشعوب الإسلاميين ، وأعنى بهم : علماء الدين والمفكرين والكتاب والحقيقة أن الكتاب والمفكرين يقولون ويكتبون كثيراً ، ولكن فى حدود الصحافة الإسلامية المحدودة النشر والتوزيع ، لأنه لا الصحف الكبرى الرسمية ، ولا وسائل الإعلام الأخرى ، كالإذاعة المرئية والمسموعة مستعدة لأن تفسح لهم صدرها ولوفى أضيق المساحات .

أما علماء الدين سواء أكانوا أساتذة فى الجامعات أو المعاهد والمدارس ، أم كانوا وعاظا وخطباء مساجد ، فإنهم

قادرون على أن يفعلوا الكثير ، ويفرضوا على الشعوب المسلمة الإحساس بمحنة الأقليات المسلمة ، لكن القدرة على ذلك لا أهمية لها ، ما لم تتوافر لديهم العقيدة التى تنمى الإيمان بالقضية .. ثم الدراية الكافية بأعماق المحنة وأبعادها .

● **وأعيد القول :**

إن الاحساس المفقود بمحنة الأقليات المسلمة ، محنة قائمة بذاتها ، سواء على مستوى القمة أم على مستوى القاعدة ، والعمل على إيجاد الوعى لدى الشعوب ، يمثل قاعدة الإحساس بالمحنة ، والإحساس بالمحنة أولى مراحل الخروج من المحنة ، أو على الأقل : التخفيف من وطأتها ..

وقد تكون بلادة الحس لدى الأنظمة أمراً طبيعياً أو مرضاً مزمناً ، لكن بلادة الحس لدى الشعوب المسلمة أمر عارض ، لأن هذه الشعوب لا تزال واقعة تحت تأثير التخدير الذى تخطط له القوى العالمية المعادية للإسلام ، وتعمل الأنظمة التابعة لتلك القوى أدوات للتنفيذ ، وبما تملك هذه الأنظمة من وسائل الإعلام .

والشعوب المخدرة فى حاجة إلى من يوقظها .

والأمل معقود بنواصى القادة الإسلاميين ، من مفكرين وكتاب وعلماء دين ..

المحنة .. والمخرج

أقول بادئ .. ذى بدء :

إن محنة الأقليات المسلمة فى العالم حقيقة مريرة واقعة ، لا يجادل فيها عاقل ، ولا يختلف عليها اثنان .. وإذا كانت القوى المعادية للإسلام هى أصل المحنة ، وأنها ترتكب بلا حياء أو رادع جريمة الاضطهاد ، فإن العالم الإسلامى - ككل - يرتكب هو الآخر جريمة السكوت عن الجريمة .

إذن فنحن أمام جريمتين :

إحداهما : إيجابية ، والأخرى سلبية ، والأقليات المسلمة وحدها ، هى التى تكتوى بجحيم الجريمتين معا ، تعانى من الجريمة الأولى الإيجابية التى تمارسها القوى المعادية للإسلام ، ماديا وأمنيا ، كما تعانى من الجريمة الأخرى السلبية التى يمارسها العالم الإسلامى ، معنويا ونفسيا .

وأعتقد أن هذا كلام واضح لا لبس ولا غموض فيه ، ولا يعتريه شىء من المبالغة أو الخيال ، وقبل أن نعرض لقضية المخرج من المحنة ، يتحتم علينا أن نسأل أنفسنا سؤالا من شقين :

ماذا قدمنا للأقليات المسلمة فى محنتها ، وماذا يجب أن نقدم لها ؟

أما عن الشق الأول : ماذا قدمنا ؟ فإن الإجابة عنه تتسم بالمرارة وإثارة الأعصاب ، لأنه فى الواقع لم يقدم العالم الإسلامى شيئا على المستوى الرسمى ، وما قدمته وتقدمه الهيئات الخاصة .. يكاد لا يغنى ولا يسمن من جوع ، وإن كانت هذه الهيئات مشكورة على ماقدمت وتقدم ، فشىء خير من لا شىء كما يقولون .

وتبقى الإجابة عن الشق الثانى : ماذا يجب أن نقدم ؟

وقبل أن نعرض للإجابة عن هذا الشق ـ وهو لب القضية التى نحن ـ بصددها ، ينبغى أن نبحث عن مصادر المحنة ، وأبعادها ، وموقف العالم الإسلامى منها .

ويمكن أن نلخص المصادر فى كلمة واحدة هى التعصب ، وأن نلخص الأبعاد فى كلمتين هما : « تصفية الإسلام » وأخيراً أن نلخص موقف العالم الإسلامى فى كلمات ثلاث وهى : « اللامبالاة ، والسلبية ، والتخاذل » .

أولاً : التعصب هو المصدر الرئيسى للمحنة ..

التعصب لغير الإسلام ضد الإسلام ، وقد يكون غير الإسلام عقيدة سماوية كالنصرانية واليهودية ، أو عقيدة

وثنية كالهندوكية والبوذية ، أو عقيدة مادية كالماركسية ، أو حتى فكرة هدامة كالماسونية ومشتقاتها ، وهذه جميعها تعتبر ممولا ووقودا للتعصب ضد الإسلام .

إذن فنحن بصدد ست دوائر ، تصدر المحنة للأقليات المسلمة تستهدف الخمس الأولى منها : الصليبية ، والصهيونية ، والشيوعية ، والهندوكية ، ثم البوذية ـ تصفية الوجود الإسلامى بشريا وفكريا .

أما الدائرة السادسة والأخيرة الماسونية ومشتقاتها ـ فتكتفى بالتصفية الفكرية والمعنوية ، عن طريق السيطرة على الرؤوس الكبيرة ، التى تملك الأمر والنهى فى البقاع الإسلامية ، حتى فى بعض الدول التى تحرم قوانينها ممارسة أى نشاط تحت لافتة « الماسونية » ويجب أن يكون مفهوما أن اللافتة غير مهمة ، فقد حل محل لافتة الماسونية أمثال : « الروتارى والليونز » .

ولا داعى للمقارنة بين هذه الدوائر فى التخطيط وأسلوب الممارسة ، مادامت الغاية عندها ـ وهى تبرر الوسيلة على مذهب ميكيافيللى ـ واحدة ، ومادام الكل يضمر الحقد والعداوة للإسلام ، ويرتكب أشرس ألوان العنف لإرواء حقده ، وإنما المهم هو موقف العالم الإسلامى من هذه

الدوائر الحاقدة بوضعه الراهن ، وأعني بالعالم الإسلامى ولاة الأمور ولا أعنى الشعوب المسلمة ، لأنها اليوم غير جديرة بوضعها فى إطار المسئولية .

● ولنبدأ بدائرة الصليبية :

إن الصليبية تمارس ضد الإسلام لونين من الغزو : العسكرى والفكرى ، والأول نشهده اليوم فى الفلبين وأوغندة على سبيل المثال ، والآخر تمارسه عن طريق التبشير ، الذى لم يعد نشاطه قاصرا على الأقليات المسلمة فى الدول غير الإسلامية ، بل تجاوزه إلى الدول المسلمة ذات الأغلبية الكبيرة ، كما هو الشأن فى أندونيسيا وبنجلاديش فى أسلوب وقح من التحدى الذى يعبر عن منتهى الاستخفاف بالعالم الإسلامى ، وبينما يجد التبشير فى أندونيسيا مساندة إيجابية من النظام من أجل عيون الغرب وفى مقدمته أمريكا ، يجد موقفا سلبيا من النظام فى بنجلاديش ، وكأن عمليات التنصير لا تعنيه فى قليل أو كثير .

والصليبية المعاصرة امتداد للصليبية القديمة التى عاصرت ظهور الإسلام ، وتخلت عن جوهر المسيحية فى مواجهة الإسلام ، وأعماها الحقد ، ولم تكن البداية تلك الحروب الصليبية التى بدأت فى القرن الحادى عشر الميلادى ، بل

البداية هى فتوحات الإسلام الأولى ، التى قوضت الإمبراطورية الرومانية المسيحية كما يرى المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان [١٤] .

يرى المؤلف أن الفكرة الصليبية أقدم عهداً وأوسع مدى من الحروب الصليبية ، فالفكرة الصليبية تقوم على الصراع بين الإسلام والنصرانية ، وقد بدأ هذا الصراع منذ وثبة الإسلام إلى الفتح فى عصره الأول ، ولم تبدأ الحروب الصليبية فى نهاية القرن الحادى عشر ، ولم تقع أول معركة صليبية فى سهول الشام ، بل نستطيع أن نرجع بدأ الحروب الصليبية الحقيقية إلى أوائل القرن الثامن الميلادى ، حين عسكر الإسلام تحت أسوار قسطنطينية يهدد الغرب ، وحينما انسابت من أسبانيا جيوش المسلمين إلى سهول فرنسا تهدد النصرانية وأمم الشمال .. ومنذ أوائل القرن الثامن الميلادى شعرت النصرانية بفداحة الخطر الذى يهددها من فورة الإسلام فى الجنوب .

إذن فالفكرة الصليبية - كما يرى الأستاذ عنان - هى الأساس ، وتعنى التعصب والحقد ، ولم تكن الحروب

---

١٤ - مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام » دار التاليف والنشر - طبعة ثانية - القاهرة - ١٩٣٤ م .

الصليبية إلا ثمرة من ثمارها ، والفكرة الصليبية هى المحرك ضد الوجود الإسلامى ، هى الدافع إلى استعمار الغرب الصليبى للعالم الإسلامى ، وإلى سير حملات التبشير المسيحى ، لتغزو شتى البقاع الإسلامية ، وإذا كان الاستعمار الصليبى العسكرى قد أنهى أعماله فى ديار الإسلام شكلا ـ لا موضوعا ـ فإن التبشير المسيحى مايزال على قيد الحياة فى ديار الإسلام شكلا وموضوعا معا ، وإذا كان التبشير فيما مضى يمارس نشاطه فى ظل حماية الاستعمار ، فإنه اليوم يمارس نشاطه بشكل سافر وشرس فى ظل نفوذ الغرب ـ وبخاصة أمريكا ـ التى تصدر المعونات والقروض إلى الدول الإسلامية الفقيرة .

ويجب أن نقف طويلا عند كلمتى « التعصب » و « الحقد » وهما أمران لا يزالان يعششان فى أدمغة الصليبية ، حتى فى الدول العلمانية التى فصلت الكنيسة عن الدولة ، لأن مثل هذه الدول فصلت ـ فحسب ـ الكنيسة .. السلطة .. ولم تفصل الكنيسة المعنى والمغزي والمضمون ، ومثل هذا التصور نجده لدى كاتب غربى ـ أى من بني

جلدتهم ـ هو « ليوبولد فايس » النمسوى الأصل ، الذى أسلم فيما بعد وحسن إسلامه ، وأصبح اسمه محمد أسعد ، يقول :[١٥] .

فيما يتعلق بالإسلام لا نجد موقف الأوروبى فى موقف كره فى غير مبالاة ـ فحسب ـ كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد .. وهذا الكره ليس عقليا ـ فحسب ـ ولكنه أيضا يصطبغ بصبغة عاطفية قوية .. قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ، ولكنها تحتفظ دائما ـ فيما يتعلق بهذين المذهبين ـ بموقف عقلى متزن ، ومبنى على التفكير ، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام . يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفى فى التسرب .

إن الصليبية اليوم تواجه الإسلام بالفكرة الصليبية ذاتها ، تلك التى أشار إليها الأستاذ عنان ، وحللها المفكر ليوبولد فايس ، وهى التى حركت الحروب الصليبية فى الشرق وفى أسبانيا من قبل ، وتحركها اليوم فى الفلبين وفى أريتريا ، وهذه الفكرة التى تقوم على التعصب والحقد ، لها تأثيرها

---

١٥ ـ الإسلام على مفترق الطرق « ترجمة د . عمر فروخ ـ بيروت طبعة ثانية ـ ١٩٤٨ م .

العميق فى مسار الغزو الفكرى الصليبي لديار الإسلام ، ممثلا فى الاستشراق الذى يستهدف المثقفين ، والتبشير الذى يستهدف العوام وأنصاف المثقفين من المسلمين ، وهما يلتقيان معاً على طريق واحد أو منهج واحد : الشوشرة على مفاهيم الإسلام .

يقول ليوبولد فايس فى مؤلفه السابق :

« إن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين ، تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى القرون الوسطى . تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها .. وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا .»

● فى دائرة الصهيونية .

هذه الدائرة تمثل اليوم السرطان للأمة العربية ، والصداع للأمة الإسلامية ، ولعلنا لم ننس بعد أن اليهودية بدأت تتآمر على الإسلام ، وتخطط للقضاء عليه ـ وهو لا يزال فى دور

التكوين .. وحسبنا أن نقرأ كتاب الله وحده ، وعندما قدر للإسلام أن يثل شوكة اليهود ، ويجليهم عن يثرب ، تفاقم حقدهم ، يتوارثه الآباء عن الأجداد ، حتى كان القضاء على الخلافة على أيدى يهود الدونمة ، وكان أتاتورك واحدا منهم ، ثم حتى قامت لهم دولة فى قلب الأمة العربية « فلسطين » والحقد لا يزال يعتمل فى أحشائهم ، ويمتزج بأحاسيسهم ومشاعرهم .

والصهيونية - بدافع من الحقد على الإسلام .. الحقد الدفين . لم تخطط فى مؤتمرها الأول فى بال عام ١٨٩٧ م لإيجاد وطن قومى لها فى فلسطين - وحسب - بل إن لها أهدافا توسعية على حساب الإسلام ، فقد زار هرتزل رئيس المؤتمر سيناء فى أوائل هذا القرن - أى بعد بضع سنوات من انعقاد المؤتمر - ليدرس على الطبيعة ، كيف يمكن لدولة آل صهيون - بعد قيامها أن تبدأ توسعها بسيناء المجاورة ، والعرب والمسلمون يومئذ سادرون فى شهواتهم .

إن فكرة التوسع - إذن - ليست فكرة جديدة طارئة ، طرأت عند قيام الدولة عام ١٩٤٨ م ، بل هى فكرة قديمة ، ففى ١٢ فبراير عام ١٩٥٢ م صرح الإرهابى موشى ديان عن إنشاء إمبراطورية إسرائيلية ، وقال : إن عملية التوسع عملية مستمرة لم تنته بعد ، وعملية بناء الوطن بدأت منذ عام ..

ولن ندع أى يهودى يقول : إن هذه نهاية العملية .. ولن ندع أى يهودى يقول : « إننا نقترب من نهاية الطريق » .

وفى ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ م عبر الكاتب الإسرئيلى أليعازر ليفينه ـ عضو حركة إسرائيل الكبرى ، عن معارضته لقرار هيئة الأمم المتحدة برقم ٢٤٢ على أساس أنه قد يسفر عن خنق الصهيونية ، وأضاف : « إن التوسع الصهيونى هو الذى يعطى المجتمع الإسرائيلى معنى وهدفا » .(١٦)

وماهو جدير بالذكر : أن آل صهيون تعمدوا أن تكون فلسطين العربية المسلمة هى الهدف ـ لا لاعتبارات تاريخية أو دينية ـ بل لاعتبار آخر نفسى ، هو القصاص من العرب والمسلمين ، الذين أذلوهم فى يثرب منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، وهذه الحالة النفسية هى التى جعلتهم يرتكبون أفظع الجرائم ـ ولا يزالون ـ فى عرب فلسطين ، ثم فى مسلمي لبنان بعد ذلك .

إن إسرائيل التى أصبحت اليوم أكبر مورد للأسلحة إلى أمريكا اللاتينية ، وأكبر متعاون ثقافيا واجتماعيا وسياسيا مع

---

١٦ ـ الأيديولوچية الصهيونية د . عبد الوهاب محمد المسيرى ـ سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٠ القسم الأول ـ الكويت ـ ديسمبر ١٩٨٢ م .

دولة جنوبى أفريقيا العنصرية ، إسرائيل هذه تعبث بأصابعها فى كل مخطط يستهدف الأقليات المسلمة فى العالم ، وهى وإن كانت تخطط للتوسع عسكريا على حساب أرض العروبة ، إلا أنها تخطط للتوسع السياسي والاقتصادى والاجتماعى فى أفريقيا وآسيا .. أما العرب فحسبهم أن لهم محطة إذاعة صوت العرب ، تردد صباح مساء : أمجاد ياعرب أمجاد :

●●●

● فى دائرة الشيوعية ●

إن محنة الأقليات المسلمة فى الدول الشيوعية تبلغ قمة المأساة ، فكل من روسيا والصين ابتلعت جمهوريات إسلامية بأكملها ، وكذلك يوغوسلافيا التى قتلت فى البوسنة والهرسك أكثر من مليون مسلم ، والأنظمة الشيوعية خارج نطاق الستار الحديدى تعلن على الأقليات المسلمة حروب الإبادة الجسدية والمعنوية معا ، وبخاصة بلغاريا التى ترتكب أفظع الجرائم فى المسلمين هناك ، تلك الجرائم التى فاقت جرائم محاكم التفتيش فى العصور الوسطى .

وإذا كانت الصليبية أو الصهيونية تحمل غلا للإسلام وحقدا على شعوبه ، فإن الشيوعية تزيد على هذا وذاك همجية السلوك وشراسة الممارسة وغوغائية التحدى ، وتعتبر أعمال التتار قديما ـ على شراستها ـ متواضعة للغاية بالنسبة إلى أعمال آل ماركس . وما تفعله بلاد الدب الأحمر اليوم فى أفغانستان . لا يحتاج معه إلى دليل .. وفى إيجاز : لقد جمعت الشيوعية بين غرور الصليبية ، ونذالة الصهيونية ، وغباء الوثنية ، وانحدار الميكيافيلية .

فى عدد رمضان ١٤٠٦ هـ نشر تحقيق فى مجلة الاعتصام تحت عنوان : « ماذا يجرى للمسلمين فى يوغوسلافيا »؟

وفيه أن المسلمين هناك محاصرون ومحوطون بالإزدراء والتجاهل العام ، لأنهم فى رأى النظام الشيوعى ، يعتبرون خطراً حقيقيا على تعاليم ماركس وفكر المذهب الشيوعى ، وفى إقليم « كوسوفو » عندما احتج المسلمون من أصل ألبانى على المعاملة المليئة بالحيف والإهمال ، كان الرد على ذلك فرقا من الجيش قامت بحملة إبادة ، حيث استشهد أكثر من ألفين .

وليس بعجيب أن تكون يوغوسلافيا إحدى دول الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ، وصديقا حميما للدول العربية .

●●●

● فى دائرة الهندوكية والبوذية ●

ربطنا بين الاثنتين لأنهما من طينة واحدة هى الوثنية ، وينهجان فى الوقت الحاضر نهجا واحدا هو اضطهاد المسلمين ، ويستهدفان هدفا واحدا هو العمل على ألا تقوم للإسلام قائمة فى بلادهما .

كان المسلمون فى الهند الهندوكية ـ فيما مضى ـ أكثرية ، وبسبب الاستعمار البريطانى أصبحوا أقلية ، وبخاصة بعد تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، وبذلك أصبح زهاء مائة مليون مسلم فى الهند اليوم ، يتعرضون لحملات شرسة من الهندوك ، على مرأى ومسمع من حكومة الهند .. والعجيب أن صحفنا العربية تهتم اهتماما بالغا بالصراع القائم الشرس بين الهندوك والسيخ ، ولا تهتم على الإطلاق بهجمات الهندوك على طائفة المسلمين ، والتى تزهق فيها عشرات الأرواح من المسلمين فى كل هجمة ، إلى جانب الاعتداءات ـ المتكررة على المساجد .

أما البوذية فلها شأن وأى شأن بالنسبة للأقليات المسلمة فى تايلاند وبورما وسيرى لانكا ، حملات الإبادة ضد المسلمين فى تايلاند تسير على قدم وساق ، وحملات الاضطهاد ضد

المسلمين فى سيرلانكا وبورما تمثل مأساة ، ومنذ فترة اضطر مليون مسلم من بورما إلى الفرار إلى بنجلاديش لاجئين .. بعد أن تركوا ديارهم وأمتعتهم وأموالهم ، وفى خيامهم اليوم يعيشون الضياع .

وكما أن مأساة المسلمين فى الهند لا يكاد يحس بها أحد ، فإن مأساة المسلمين فى دائرة الدول البوذية ، تلقى تجاهلا كاملا من وكالات الأنباء العالمية الخاضعة لنفوذ القوى الأخرى المعادية للإسلام ، أما وسائل إعلامنا العربى ، فهى تجهل أى شيء عن مجريات الأمور هناك ، وحتى إن علمت شيئا ، فإن السياسة العليا للإعلام تتعمد التعمية ، وليس مثيرا للعجب أن صحافتنا العربية ـ على سبيل المثال ـ تهتم اهتماما بالغا بمأساة الإفريقيين السود فى دولة جنوبى أفريقية العنصرية ، ولكنها لا تكاد تذكر شيئا عن مأساة شعب أريتريا الذى يواجه حرب إبادة من الطغمة الفاشية العسكرية الأثيوبية .

إن الاضطهاد بسبب اللون فى جنوبى أفريقيا يقل شأنا بمراحل عن الاضطهاد بسبب الدين فى سائر الدوائر المعادية للإسلام ، ومن وجهة نظر السياسات العليا الحاكمة فى ديار الإسلام والعروبة : أن التظاهر مع الحملات الدعائية ضد التفرقة العنصرية يمنحها صفة الرقى ، أما التظاهر بالدفاع

عن المضطهدين بسبب إسلامهم ، فإنه يصمها بوصمة التعصب الدينى .

وهذه هى المأساة .

● ولنبدأ من حيث بدأنا :

والسؤال المطروح : ماذا قدمنا ؟

وماذا يجب أن نقدم إزاء محنة الأقليات المسلمة فى العالم ؟ أو بمعنى آخر :

ماهو المخرج من المحنة ؟

نحن نترك جانبا شطر السؤال : ماذا قدمنا ؟ لأننا لم نقدم شيئا يذكر ، والدليل على ذلك أن المحنة فى ازدياد وتقدم ، ولا يبقى أمامنا إلا محاولة الإجابة عن الشطر الآخر .

ماهو المخرج ؟

أعتقد بادىء ذى بدء .

إن بداية الطريق إلى المخرج ، تبدأ من وجود « استراتيجية » أى خطة عمل ، ولكن لا يمكن توافر هذا إلا إذا توافرت النوايا الخالصة ، والعزائم الصادقة ، وهذا يقتضى أن يتبنى العالم الإسلامى ـ أنظمة وشعوبا ـ القضية برمتها . ومعنى ذلك أن يصبح العالم الإسلامى وحدة سياسية مستقلة لا تدين بالتبعية للشرق ولا للغرب ، بل تدين بالولاء للإسلام .. والإسلام وحده .

وقد يستخف بنا القارىء المثقف ، لأننا نطلب محالا ، نتجاهل الحكمة التى تقول : « إذا أردت أن تطاع .. فأمر بما يستطاع » وإذا كانت التجارب أثبتت أن المنطقة العربية المحدودة قد فشلت فشلا ذريعا فى أن تكون وحدة سياسية مستقلة ، فما بالك بالعالم الإسلامى الشاسع ؟

ونحن نرى أن للقارىء المثقف أن يستخف بنا ، ولكن ماذا نفعل ؟

إننا نضع النقاط على الحروف ، ولا نقصد المصادرة على المطلوب ، حتى تصبح القضية فى موضع اليأس الذى لا مفر منه ، ولا تحول عنه ، وإنما نقصد أن أولى خطوات المخرج توافر وحدة إسلامية سياسية ، قد لا تتوافر اليوم ، ولكن قد تتوافر غدا ، عندما تستطيع الشعوب المسلمة أن تسترد اعتبارها ، وتصبح طرفا أساسيا فى قضايا الإسلام .

إن المخرج بمحنة الأقليات المسلمة من مأساتها ، إنما يتم بمرحلتين :

الأولى : توافر وحدة سياسية قوية للعالم الإسلامى .

الأخرى : خطة للعمل .. بعد توافر المرحلة الأولى .

وعلى افتراض توافر المرحلة الأولى ـ أعنى : وحدة سياسية إسلامية مستقلة ـ فهناك حلان معروضان ولا ثالث

لهما ، حل عن طريق القوة وحل عن طريق السياسة ، والحل عن طريق القوة أشارت إليه آية النساء : ٧٥ [وَمَالَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا]

والحل عن طريق السياسة ـ أعنى سياسة المقاطعة لأعداء الله ورسوله ـ لأن امتحان الأقليات المسلمة لا يأتى إلا عن طريق أعداء الإسلام ـ وسورة الممتحنة تدور حول هذه المسألة ، ونكتفى بالآية الأولى منها :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ] وهذا الشطر الأول من الآية يمثل قاعدة عامة ، بغض النظر عن أسباب النزول لأن العبرة فى منطوق القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا بقرينة قاطعة .

وأعتقد أن الحل الأول ـ القوة ـ غير وارد اليوم ، أو على الأقل فى سائر الأحوال ، ويمكن أن يكون مثل هذا الحل مقبول لو أن لدينا قوة عسكرية تقف جنبا إلى جنب مع القوتين الكبيرتين اللتين تسيطران على العالم فى الوقت الحاضر .

وإذا كان الحل العسكرى غير وارد فى الظروف الحالية ، فإن الحل السلمي ـ أى سياسة المقاطعة ـ يواجه كذلك بعض العقبات ، وهذا من منطلق الواقع المرير الذى تعيشه الأمة المسلمة المعاصرة ، لأن أية دولة من دول العالم الإسلامى تفتقد الاستقلال الذاتى الحقيقى ، ما دامت لم تصل بعد إلى درجة الاكتفاء الذاتى اقتصاديا أو عسكريا أو سياسيا ، وتبعا لذلك تتخذ قراراتها السياسية الخارجية بحذر حتى لا تثير ثائرة أحد عليها .

وأن نصارح أنفسنا خير من أن ندفن رؤوسنا فى الرمال ، بل خير من أن نخدع أنفسنا ، ثم تكون النكسة النفسية التى لا قبل لنا بها

لقد مضى على الجامعة العربية أكثر من أربعين عاما ولا تزال على قيد الحياة فى كشوف الأحياء فقط ، كذلك لا يزال أعضاؤها على خلاف فى الرأى ، وهم أعجز من أن يتخذوا قرارا موحداً ، لأن سياستهم الخارجية موزعة بين موسكو وواشنطن .

لقد صرح الرئيس السنغالى عبده ضيوف فى مايو الماضى كرئيس للوحدة الأفريقية ، بأن الحل الحاسم فى مواجهة حكومة جنوبى أفريقية هو المقاطعة الشاملة من دول منظمة الوحدة الأفريقية والحق مع الرئيس السنغالى ، ولكن المشكلة

ليست فى حلها ـ كما يقول الإمام الغزالى ـ بل فى قبول هذا الحل ..

وأقول :

لو أن العالم الإسلامى اتخذ قرارا بمقاطعة روسيا اقتصاديا ودبلوماسيا لا نتهت محنة أفغانستان ، وقرارا بمقاطعة أثيوبيا لا نتهت مأساة أريتريا ، وقرارا بمقاطعة كل من الفلبين وبلغاريا ، وبورما وتايلاند . لارتفعت محنة الأقليات المسلمة فى تلك الدول .

وأخيرا .. وليس آخراً :

فإن المخرج لا يأتى بمعونات تقدم إلى الأقليات المسلمة المتحنة وهى فى أكثر الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولا عن طريق المؤتمرات التى تنعقد ، وتتخذ قرارات وتوصيات ليست ملزمة على الإطلاق ، وحتى وسائل الإعلام فى ديارنا لا تقيم لها وزنا ، وتظل مجرد مداد على ورق إلى ما شاء الله .. ولكن المخرج لا يأتى إلا من طريق واحد ، ليس هو طريق الهيئات والمنظمات الإسلامية ، التى تخضع لسياسة الدول التى تتبعها ، وإنما هو طريق الأنظمة فى ديار الإسلام ، بمعنى أن تتبنى الدول المسلمة القضية لا الهيئات والمنظمات وحدها ، وإن كان من الإنصاف ألا يهمل دورها ، وقد أدته ـ وفى استطاعتها أن تؤديه بصدق وإخلاص .

وإذا كان من المسلم به فى الوقت الحاضر هو أن سائر الأنظمة عاجزة عن أن تتبنى القضية ، فلا أقل من ألا ترتكب سياسات تصدم مشاعر الأقليات المضطهدة ، ثم مشاعر الشعوب المسلمة التى تتبنى القضية بقلوبها وأحاسيسها ، ويهدهد أعصابها أن تفرط الأنظمة فى واجب مقدس يفرضه عليها الإسلام الذى تنكبت طريقه ، والتمست العزة من سواه .

وأدنى مظاهر السلوك غير السوى ، الود المتبادل بين الأنظمة فى ديار الإسلام ، والدول التى تذيق الأقليات المسلمة الأمرّين ، بالإضافة إلى التعاون السياسى والاقتصادى ، وماهو أدهى وأمر : أن بعض الدول البترولية تصدر البترول إلى الدول المعادية للإسلام . التى تعلن حرب الإبادة على الأقليات المسلمة فى بلادها ، وفى مقدمة هذه الدول الفلبين . بل وماهو أبشع من ذلك أن بعض رؤساء الدول المسلمة لا يتورع عن مصافحة الأيدى الملوثة بدماء المسلمين .

فى ١٥/٩/١٩٨٥م كتبت الكاتبة الصحفية فاطمة سعيد بالأخبار تقول : « وألفت نظر الأزهر الشريف عما فعله حيال ما أثير أخيراً عن معاملة بلغاريا للمسلمين هناك .. فقد عرضت مندوبة تركيا فى مؤتمر المرأة العالمى فى نيروبى

ـ عاصمة كينيا ـ وثائق وإثباتات تدين الحكومة البلغارية ، لأنها تجبر المسلمين على التخلى عن دينهم بالقوة ، وتضطهدهم ، وتهدم بيوتهم ومساجدهم ، وتغير أسماءهم المسلمة ، وتزوج البنات المسلمات عنوة بغير المسلمين من البلغار ، وتمنع المسلمين عن العمل ، للقضاء تماماً على الدين الإسلامى فى بلد شيوعى لا يعترف بالأديان .

وقدمت مندوبة تركيا للمؤتمر وثيقة موقعة من محافظ حكومة بلغاريا فى ديسمبر عام ١٩٧٧م ، يأمر فيها بهدم منطقة المسلمين ، وتفريقهم فى أماكن متفرقة ، وتحرم أى شخص يحمل أى اسم إسلامى من العمل .

« أقول : هذا يحدث للمسلمين فى بلغاريا ، فى الوقت الذى تمتلىء فيه جرائدنا وإعلاناتنا ومكاتبنا السياحية بالدعوة إلى المصريين للسفر إلى « فارنا » ببلغاريا لقضاء الصيف هناك ، وتذهب إلى هناك ـ فعلا ـ الألوف من المسلمين المصريين .. هكذا دون أى إجراء أو موقف من الأزهر الشريف لما يلاقيه أخوة لنا فى الإسلام فى القرن العشرين .. هل هذا معقول ؟؟

ولا تعقيب لنا على الكاتبة إلا أننا نشكرها على حسن ظنها بالأزهر .

والسؤال الذى لا يزال مطروحاً :

ماذا يجب أن نقدم ؟ حتى نحقق المخرج من المحنة ؟

أقول مرة أخرى : إن المخرج لا يتحقق عن طريق المعونات مادية كانت أم أدبية ، وإن كانت تصلح - فحسب - مسكنا مؤقتاً ، إذن فالمطلوب هو وجود استراتيچية للعمل ، لا تعتمد - وحسب - على النوايا الطيبة ، بل كذلك على العزائم الصادقة ، وكل استراتيچية لها مقومات نجاحها ، ومعوقات تؤدى إلى فشلها ، أو على الأقل إلى ضعفها ، بحيث تصبح بمرور الأيام غير ذات موضوع .. وفى إيجاز نبدأ بمقومات النجاح ، وهى تتركز فى مقومات ثلاثة :

أولاً : التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية معا ، بحيث تشمل كل جوانب المحنة : المادية والنفسية وسائر التحديات لها .

ثانياً : توافر الإمكانات المساعدة ، مادية كانت أو أدبية ، أو علمية ، أو سياسية ، وأعنى بكلمة « سياسية » أن تدخل الدول المسلمة طرفا فى القضية ، وبذلك وحده يصبح العمل جاداً .

ثالثاً : التأهيل الشامل للقائمين على الفكرة ، دارسين ودعاة ومفكرين ، وفى حقيقة ذلك إيمانهم بأن عملهم إنما هو من منطلق عقيدتهم لا من منطلق مناصبهم ،

أما معوقات النجاح ، فهى تتركز ـ أيضاً ـ فى ثلاثة :

أولاً : الارتجال الذى يتجاهل التخطيط الشامل ويعتمد على العواطف ، دون الحقائق ، وعلى الشكل دون الجوهر .

ثانياً : التقلبات السياسية المحلية والعالمية ، والتى قد تقضى على الحركة ـ أو على الأقل ـ تعوق مسارها .

ثالثاً : ضعف الإمكانات الضرورية ـ أو على الأقل ـ عدم ترشيد إنفاقها .

هذا .. ويجب أن ندرك أن لإيقاظ الوعى لدى الشعوب المسلمة دوراً رئيسياً ، وذلك عن طريق القيادات الفكرية الناضجة ، والدعوات والحركات الإسلامية الرشيدة ، ومتى تيسر أن تصبح الشعوب المسلمة وقد تبنت محنة الأقليات المسلمة ليست كظاهرة تثير عواطفها ولكن كقضية لها المقام الأول من اهتماماتها .. كان ذلك بداية الطريق إلى المخرج .

خاتمـــة المطـــاف

إن ماسجلته فى هذه الدراسة المتواضعة ، عن محنة الأقليات المسلمة فى العالم ، ليس إلا قليلا من كثير ، وذلك لأسباب ثلاثة :

أولها : أن السلسلة التى كتبت من أجلها الدراسة محدودة

ثانيها : أن المراجع التى تحت أيدينا باللغة العربية ضئيلة نسبياً بالنسبة للمراجع الأجنبية ، وكلا النوعين يحتاج إلى دقة وروية فى الأخذ منه ،

فالنوع الأول: إما أن يحمل طابع الجفاف وإما أن يحمل طابع الانفعال ، وأعنى بالجفاف : عدم اهتمام المؤلف بالمحنة - كقضية - ينبغى أن تستوعب البحث عن الجذور والأسباب والمسببات ، وأعنى بالانفعال : اهتمام المؤلف بالإثارة التى تحرك الأحاسيس والمشاعر - فحسب -

والنوع الثانى: كتابة مبشرين كانوا أم مستشرقين يفتقدون التجرد من الأهواء ، وأمانة التاريخ ، وعلى سبيل المثال : فهم حين يسجلون إحصائيات عن المسلمين والمسيحيين فى دولة آسيوية أو أفريقية ، يتعمدون الهبوط بعدد المسلمين بشكل مثير للعجب .

ثالثها : إن وسائل الإعلام الغربى تنقل إلينا القليل من أخبار المحنة بدافع من الشماتة .

أما وسائل الإعلام العربية والإسلامية ، فهى تتعمد

التعمية أو التغطية على أنباء المحنة ، إما عن قصور وإما عن تقصير ، وإذا كان معظم الصحف الإسلامية يهتم بالقضية ، إلا أن هذه الصحف متواضعة للغاية نشراً وتوزيعاً ، يضاف إلى ذلك ، أن معظم الأقليات المسلمة المضطهدة معزول عن العالم ، وحتى سفارات الدول المسلمة هناك لا تملك إصدار نشرة عما يحدث ، لأنها ـ من ناحية ـ تتبع سياسة دولها ، ومن ناحية أخرى ، يعتبر هذا منها تدخلاً فى شئون داخلية .

وليس الهدف من تقديم هده الدراسة . عملية إحصائية لعدد الأقليات المسلمة ، أو عملية سرد لأساليب الاضطهاد التى تمارس ضد الأقليات المسلمة .. وإنما الهدف الرئيسى هو تقديم صورة حقيقية تقريبية ما أمكن ، لما تعانيه الأقليات شكلاً وموضوعاً ، والكشف عن المخططات التى تخطط لذلك .

ومما تجدر الإشارة ـ ولو العابرة ـ إليه ، أن هناك عدداً من الدول التى تتمتع بأكثرية مسلمة من حيث الكم ، تعانى هى أيضاً أبشع وأشرس مما تعانيه الأقليات المسلمة فى ديار غير إسلامية ، وأقرب الأمثلة : ألبانيا وأريتريا ، ثم الجمهوريات الإسلامية التى اغتصبت فى روسيا ، والصين ويوغوسلافيا ، ثم أفغانستان أخيراً .

وهذا راجع إلى أن القوى المعادية للإسلام ، التى تتمثل ـ فى المقام الأول فى الثالوث البغيض : الصليبية والصهيونية والماركسية ، بالإضافة إلى الهندوكية والبوذية ، هذه القوى

تستهدف الوجود الإسلامى نفسه : عقيدة ونظاماً ، وشعوباً وحضارة ، فهى تلاحق الإسلام وتحاصره أينما كان وفى أى مكان ، ويستوى لديها أن يكون المسلمون فيه أقلية كانت أم أكثرية .

ثم ماذا ؟

إن الجرائم البشعة التى تمارس ضد الأقليات المسلمة فى أكثر بلاد العالم من أى مصدر كان ، لما يندى له جبين الإنسانية فى القرن العشرين ، والحقيقة أننا لا نملك الحق فى أن نثور على مرتكبى هذه الجرائم ضد الأقليات المسلمة ، أو نسخر من الهيئات الدولية كمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، التى لا تحرك ساكنا ، مادامت الأمة المسلمة ذاتها لا تحرك ساكنا ، وما دامت الشعوب المسلمة لا تزال تحت وصاية أنظمتها ، والأنظمة نفسها تحت وصاية القوتين العظميين ، اللتين تعتبران أعدى أعداء الإسلام والمسلمين .

فى بلغاريا الشيوعية تسير حرب الإبادة ضد الأقليات المسلمة هناك ، تستهدف دماءها وأعراضها وأملاكها ، وأكثر من ألف مسجد تتحول إلى مواخير وحانات ومتاحف وقاعات للحزب الشيوعى ، ثم حملات دموية لحمل مسلمى بلغاريا على

تغيير أسمائهم الإسلامية ، ومحو الإسلام من عقولهم .. وفى ايجاز : مليونان من المسلمين يتعرضون فى كل لحظة للتصفية الجسدية أو المعنوية ، وفى نفس الوقت تنشر الصحف والشاشة الصغيرة فى العالم العربى دعوة إلى العرب ليستمتعوا بصيف جميل رائع فى مصايف بلغاريا .

ومجلس الكنائس العالمى يقر استراتيجية جديدة لتنصير المسلمين ، وقد تم رصد مليار من الدولارات لتنفيذ الخطة ، بل إن الغزو التبشيرى ، الذى أصبح فى كل من أندونيسيا وبنجلاديش ، دولة داخل الدولة ، ولها كيانها المستقل ، قد امتد وبسط جناحه على المنطقة العربية البترولية ، حيث يدخل المبشرون وبخاصة ـ الكاثوليك ـ البلاد على هيئة خبراء فى النفط .

والأمة المسلمة تغط فى سبات عميق .. ولا تفيق إلا لرصد حركات الحركة الإسلامية الشبابية ، وتشديد الحصار عليها ، والزج بأعضائها فى المعتقلات والسجون . والتهمة التقليدية : التطرف الدينى .

المراجـــــع

١ ـ القرآن الكريم والسنة النبوية .
٢ ـ التبشير والاستعمار د . عمرفروخ ود . الخالدى
٣ ـ جذور البلاد عبد الله التل
٤ ـ الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام عبد الله التل
٥ ـ خطر اليهودية على المسيحية والإسلام عبد الله التل
٦ ـ الأقليات المسلمة ٤ أجزاء سيد عبد المجيد بكر
٧ ـ الإسلام والحبشة عبر التاريخ فتحى غيث
٨ ـ قسمات العالم الإسلامى د . مصطفى مؤمن
٩ ـ الغارة على العالم الإسلامى ترجمة محب الدين الخطيب
١٠ ـ الإسلام على مفترق الطرق ليوبولد فارس
١١ ـ الفلبيـــن محمد يوسف عدس
١٢ ـ غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا أبو هلال الأندونيسى
١٣ ـ قادة الغرب يقولون جلال العابد
١٤ ـ المسلمون فى أوروبا وأمريكا الكتـــانى
١٥ ـ مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام عبد الله عنان
١٦ ـ الأيديولوچية الصهيونية د . عبد الوهاب المسيرى
١٧ ـ داخل أفريقيا جون جنتر
١٨ ـ استراتيجية الدعوة الإسلامية محمد عبد الله السمان
١٩ ـ الصحف الإسلامية ، وغيرها :
الأمة ـ الاعتصام ـ المختار الإسلامى ـ المسلمون اللندنية ـ الدعوة السعودية ـ عالم المعرفة ـ الكويت .

الفهرست

قضايا إسلامية معاصرة

تصدرها

الأمانة العامة

للجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأزهر الشريف

المشرف العام

د. عبد الودود إبراهيم شلبي

البحث القادم

الدَّعْوَةُ الإِسْلَامِيَّةُ

التجربة - الأخطاء

الحل

للأستاذ الدكتور

رءوف شلبي

وكيل الأزهر

(رقم الإيداع ٨٧/٤٥٥٤)

مطابع الشروق